موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

ندوات تلفزيونية

قناة الرحمة

ندوات تلفزيونية - قناة الرحمة - ندوات مختلفة - الدرس (1) : فضل القرآن الكريم
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-01-01

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه ، القرآن كون ناطق ، الكون قرآن صامت ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، حينما أرسل الله رسوله وقال هذا الرسول الكريم : أنا رسول الله ، هناك من يكذبه فكيف يشهد الله لرسوله أنه رسول ؟ لابدّ من معجزة ، الأنبياء السابقون معجزاتهم حسية كتألق عود الثقاب تألقت وانطفأت وأصبحت خبراً ، لكن لأن النبي عليه الصلاة والسلام لكل الأمم والشعوب، ولأن كتابه خاتم الكتب لابدّ أن تكون المعجزة مستمرة ، كيف تكون مستمرة ينبغي أن تكون علمية ، من هنا كان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، شهادة الله للمؤمنين أن كتابه دليله ، حينما أُطلقت مركبة إلى الفضاء ، ولا زال الرائد يقطع الغلاف الجوي (والغلاف الجوي سماكته خمسة وستون ألف كيلو متر لما تجاوز الغلاف الجوي . ذلك لأن الضوء فيه ظاهرة الانتثار ، لأن أشعة الشمس حينما تسلط على الهواء ذرات الهواء تعكس بعض الأشعة على ذرات أخرى ، في الأرض شيء اسمه ضياء، وشيء اسمه أشعة ، فإذا تجاوزنا الغلاف الجوي تنعدم هذه الظاهرة ، تنعدم كلياً ، فصار الفضاء الخارجي ظلام الدامس)فقال هذا الرائد أصبحنا عمياناً ، نفتح القرآن الكريم ونقرأ قوله تعالى :

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14)لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15))

[سورة الحجر]

التفكر في آيات الله عز وجل أرقى أنواع العبادات :

الحقيقة في القرآن الكريم آيات تقترب من الألف ، أنا حينما أقرأ آية فيها أمر يقتضي أن ائتمر ، حينما تقرأ في القرآن آية فيها نهي يقتضي أن تنتهي ، آية فيها وصف للجنة تقتضي أن تسعى إليها ، آية فيها

وصف للنار وأحوال أهل النار تقتضي أن تفر منها ، آية في هلاك الأمم تقتضي أن تتعظ ، فإذا كان في القرآن الكريم ما يقترب من ألف آية تتحدث عن الكون ماذا تقتضي هذه الآيات ؟

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

(سورة آل عمران)

البعوضة آية من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة الكرام ، كلمة تشير إلى مخلوق من أهون المخلوقات على الإنسان ، إنها البعوضة :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

(سورة البقرة الآية : 26)

البعوضة بعد اكتشاف المجهر الإلكتروني تبين أن في رأسها مئة عين ، وفي فمها ثمانية وأربعون سناً، وفي صدرها ثلاثة قلوب ، قلب مركزي ، وقلب لكل جناح ، وفي كل قلب أذينان وبطينان ودسامان ، وزن البعوضة واحد على ألف من الغرام ، والغرام لا وزن له ، وتملك البعوضة جهازاً لا تملكه الطائرات ، تملك جهاز استقبال حراري ، إنها ترى الأشياء لا بأشكالها ، ولا بأحجامها ، ولا بألوانها ، ولكن ترى الأشياء بحرارتها ، وحساسية هذا الجهاز الحراري واحد على ألف من الدرجة المئوية .

وتملك جهاز تحليل دم ، فما كل دم يناسبها ، تفحص الدم ثم تمتص الدم ، لذلك ينام أخوان على فراش واحد يستيقظ الأول وقد ملئ بلسع البعوض ويستيقظ الثاني ولا أثر للسع البعوض على جبينه ، ومعها جهاز تمييع ، لأن دم الإنسان أحياناً سمج لا يسري في خرطومها تميعه كي تمتصه ، تملك جهاز للتخدير لئلا تقتل أثناء الامتصاص تخدر ثم تمتص الدم وتطير في سماء الغرفة ، لما ينتهي مفعول التخدير يشعر الإنسان باللسع فيضرب يده هي تضحك عليه ، فمن جهاز تمييع إلى جهاز تخدير إلى جهاز تحليل ، معها أيضاً جهاز استقبال حراري(رادار)، برأسها مئة عين ، في فمها ثمانية وأربعون سناً ، في صدرها ثلاثة قلوب ، أما خرطومها ففيه ست سكاكين أربع سكاكين لإحداث جرح مربع وسكينان يلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم ، وفي أرجل البعوضة مخالب إذا وقفت على سطح خشن ومحاجم إذا وقفت على سطح أملس ، الآن نقرأ قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

(سورة البقرة الآية : 26)

إعجاز القرآن الكريم شهادة الله للمؤمنين أن هذا القرآن كلامه ، كما شهد للأنبياء السابقين معجزات حسية ، لكن الأنبياء السابقون لأقوامهم فقط ، أما النبي عليه الصلاة والسلام لكل البشر أجمعين .

الإعجاز العلمي أقوى مادة لإقناع الطرف الآخر بالإسلام :

الإعجاز العلمي الآن أقوى مادة تقنع الطرف الآخر ، العصر عصر العلم حينما يرى حقيقة علمية اكتشفت حديثاً ، والقرآن قبل ألف وأربعمئة عام أشار إليها لا يملك إلا أن يخضع ، وكبار العلماء الكبار أسلموا عن طريق الإعجاز العلمي .

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ)

(سورة فصلت الآية : 53)

نريهم السين للاستقبال ، أي القرآن الكريم نزل في وقت والآيات ظهرت بعد ألف عام ، طبعاً الحديث عن الإعجاز يطول .

هناك مئات الموضوعات الدقيقة جداً مثلاً : في الطائرة كل شيء يدعو للرفاه والمقعد يكون سريراً كاملاً ، تنام ساعات طويلة نوماً عميقاً وأنت في أطباق الجو ، وتفتح القرآن الكريم لتقرأ قوله تعالى :

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً (8))

(سورة النحل)

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8))

(سورة النحل)

الطائرة دخلت ، والقطار دخل ، والمركبة دخلت ، والسيارة دخلت ، فحينما ندقق في آيات الإعجاز لا يسعنا إلا أن نؤمن أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن .

برج العقرب هذا برج عظيم ، فيه نجم صغير متألق ، أحمر اللون ، اسمه قلب العقرب ، الآن قلب العقرب النجم الصغير الأحمر المتألق الذي في برج العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما ، بين الأرض والشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر ، و الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة ، برج العقرب هذا برج فيه نجم صغير متألق أحمر اللون اسمه قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما ، هذا الإله العظيم يعصى ، ألا يخطب وده ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟ والآيات كثيرة .

المذيع :

دكتور عمر جاء في خاطري الآن ، التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى من عند الله ، والإنجيل الذي نزل على سيدنا عيسى من عند الله ، والزبور الذي نزل على سيدنا داود من عند الله ، والقرآن الذي نزل على سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام من عند الله ، هنا السؤال ما الفرق بين القرآن الكريم والكتب السماوية ؟

الفرق بين القرآن الكريم والكتب السماوية :

الدكتور عمر :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وبعد :

القرآن نزل منجماً مفرقاً على قلب الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ، من بداية اقرأ إلى أن انتهى القرآن الكريم ، ثم أمر الله جبريل أن يبلغ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتب القرآن كما هو بين أيدينا ليس كما نزل ، وإنما الفاتحة ، البقرة ، آل عمران ، إلى سورة الناس ، إذا تدبرنا في كتاب الله عز وجل بعد هذا الترتيب وجدنا أن القرآن وحدة واحدة ، تقدم كل سورة للسورة التي تليها ، فإذا قرأت ودعوت الله في آخر الفاتحة اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، لما تستعيذ من هذين الصنفين ؟ لأن كل واحد منهما لعب في الكتاب ، وغير في الكتلوج ، وامتدت يده بالتحريف والتزييف ، عندئذ إذا دعوت رب العباد أن يقيك شرّ هؤلاء ، وألا تكون وفق هاتين الطائفتين عندئذ يطمئنك رب العباد سبحانه وتعالى ليقول لك :

(الم (1)ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2))

(سورة البقرة)

لا تخف فقد استجيب دعاؤك أنت لا من الضالين ولا من المغضوب عليهم ، لأن هؤلاء استحفظوا كتاب الله عز وجل ، فلما ذهب الرعيل الأول الصالح ثم جاء الذين يبيعون كتاب الله عز وجل فحرفوا وبدلوا وغيروا ، وهذا كتاب لا يستطيع الإنسان أن يتدخل فيه لأنه محفوظ من قبل رب العباد سبحانه وتعالى .

نصر الله آت إذا اقتنعت أن لك ديناً خاصاً بك ولغيرك دين آخر قد حرف وزيف :

تتضح الصورة أكثر إذا أردنا في هذه القضية في الست سور الأخيرة مثلاً كمثال ، سورة الكافرون ، سورة النصر ، سورة المسد ، ثم الإخلاص ، ثم المعوذتين ، تجد في آخر سورة الكافرون لما عرض الكفار يا محمد تعال لنعبد ربك مدة معينة أو يوماً وأنت تعبد آلهتنا قال تعالى :

(قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ(1)لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2))

(سورة الكافرون)

فإذا وصلت يا أيها القارئ ، يا من أنزل عليك القرآن أن لكم دينكم ولي دين ، قد تكون ما تسميها آية المفاصلة ، فإذا وضحت لك الصورة واستبانت لك العقيدة ، واستبان لك هذا اليقين فاعلم أن نصر الله

آت ، ولم يأتِ نصر الله عز وجل إلا إذا وضحت لك الصورة أن لك ديناً خاصاً بك ، ولغيرك دين آخر قد حرف وزيف ، هنا إذا جاء نصر الله والفتح ثم تأتي آخر سورة النصر للتكلم عن التوبة ، إنه كان تواباً .

التوحيد نجاة الإنسان من عذاب الله عز وجل :

تتساءل هل التوبة لكل إنسان ؟ قيل لا ، لأن عم النبي عليه الصلاة والسلام أبى أن يسلك الطريق ، فقال له ربه وأنزل على نبيه كلاماً له ولنا :

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(1))

(سورة المسد)

هنا تخاف وتقول من الذي ينجيني ؟ إنما هو التوحيد :

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1))

(سورة الإخلاص)

ينجيك من مصير أبي لهب :

(اللَّهُ الصَّمَدُ(2)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(4))

(سورة الإخلاص)

ومن الذي يعيني على مسألة التوحيد أن تستعيذ بالله من المعوذتين ، ثم تكتشف أن آخر سورة الناس من الواجب أن يكون على السين سكون لأن نهاية القرآن ، لكن لا من الجنة والناس فإذا أعاذك الله عز وجل من شرور الجنة ومن شرور الناس تقل :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(2)الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ(3)مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(4))

(سورة الفاتحة)

القرآن وحدة واحدة :

إذاً القرآن وحدة واحدة ، فيجب أن تؤمن وأنت تقرأ في كتاب الله أن : إذا كان القرآن وحدة واحدة فيجب أن نكون كمسلمين في مشرق الأرض ومغربها وحدة واحدة ، لأن القرآن واحد ، ولأن الله واحد، ولأن قبلتنا واحدة ، عندئذ يستبين الفرق بين القرآن الكريم وبين الكتب المنزلة من قبل ، الله عز وجل جعل من إعجاز هذا القرآن أنه لا يخلق على كثرة الرد وجهابذة العلم واللغة رجل كابن عباس يقول : ما كنت أدري معنى كلمة فاطر ، فلما مررت بأعرابيين يتنازعان في بئر يقول الأول أنا الذي فطرتها ، ويقول الآخر أنا الذي فطرتها ، علمت أن فطر هو مبدع ومنشئ وخالق ، إذاً هذا المنطق .

والرجل الذي صلى خلف أبي حنيفة وصحح لأبي حنيفة ، والسارق والسارقة ، أخطأ أبو حنيفة وهو يقرأ والله غفور رحيم ، قال الله عزيز حكيم ، قال أتحفظ السورة ؟ قال أبداً أول مرة أسمعها ، قال وما الذي أدراك أن نهاية الآية عزيز حكيم وليس غفور رحيم ؟ قال لو كان غفوراً رحيماً لما حكم على السارق بقطع اليد ، لكن لما عزّ في عليائه حكم على السارق بقطع اليد ، ففهمها الأعرابي بفطرته فصحح للإمام ما أخطأ فيه .

المذيع :

سبحان الله دكتور عمر يعني ننتقل إلى فضيلة الشيخ محمد حسان في مسألة لو تدبرنا آيات القرآن الكريم لوحدنا ربنا .

القرآن الكريم طريق الإنسان للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة :

الشيخ محمد حسان :

الحمد لله ، وصلى الله وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فما أجمل هذا اللقاء ، وأستطيع أن أزيد هذا الكلام الجميل جمالاً بآيات من القرآن وبكلمات لمن أنزل الله عليه القرآن ، فالقرآن كنز معان ، وبحر حقائق ، ونهر دقائق ، ومصدرية القرآن دليل إعجازه ، فهو كلام الله تبارك وتعالى ، وهذا يكفي لإعجازه على كل كلام ، فإن العلوم وإن تباينت أصولها ، وتعددت ، وتنوعت أبوابها ، وشرقت وغربت فصولها ، لا نقلل من قدرها ، ولا من شأنها ، إلا أن أعلاها قدراً ، وأغلاها مهراً ، وأقومها قيلاً ، وأوضحها سبيلاً ، وأصحها دليلاً ، كلام ربنا جلّ وعلا ، فهو معدن كل فضيلة ، ومنبع كل حكمة ، وهو أصل الأصول ، وطريق الوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة بصحبة الحبيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سعادة ، ولا كرامة لهذه الأمة إلا إذا عادت من جديد إلى القرآن ، والعودة إلى القرآن ليست نافلة ، ولا تطوعاً ، ولا اختياراً ، بل إن الأمة أمام شرط الإسلام ، وحدّ الإيمان قال تعالى :

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65))

(سورة النساء)

القرآن الكريم حوّل الناس من رعاة للإبل والغنم إلى سادة وقادة للدول والأمم :

لقد حوّل الله عز وجل بهذا القرآن الجيل القرآني الفريد الأول من رعاة للإبل والغنم إلى سادة وقادة

للدول والأمم ، يوم حول هذا الجيل القرآني القرآن في حياته إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ، لأن الله جلّ وعلا ما أنزل القرآن لتزين به الجدران ، أو يقرأ على الأموات ، وما أنزل القرآن لتحلي النساء بالقرآن صدورهن بالمصاحف الذهبية ، أو الفضية ، أو ليوضع في علب القطيفة الفخمة الضخمة ليهدى لسادة القوم ، وعلية الناس في المناسبات والأعياد ، وإنما قال تعالى في القرآن :

(طه(1)مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى(2)إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى(3))

(سورة طه)

أي ما أنزل الله عليك القرآن يا محمد صلى الله عليه وسلم لتشقى به ، أو لتشقى بأوامره ، أو نواهيه ، أو بحدوده ، أو لتشقى به أمتك من بعدك ، بل ما أنزل الله عليك القرآن إلا لتقيم به أمة ، ولتنشئ به دولة ، ولتزكي به الأنفس ، وتزكي به العقول ، وتهذب به الضمائر والأخلاق ، ثم في قول الله عز وجل :

(لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ(70))

(سورة يس)

أنواع هجر القرآن الكريم :

لذلك لما ذكر صاحب الفضيلة قول الله عز وجل :

(وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا(30))

(سورة الفرقان)

يقول ابن القيم هجر القرآن أنواع ، هجر السماع ، وهجر التلاوة ، وهجر التدبر ، وهجر العمل بالقرآن ، وهجر التداوي بالقرآن .

ألا ترى أن كثيراً من الناس قد وقعوا في ألوان الهجر ، وأنا مع أستاذنا الدكتور عمر بأنني ممن يعتقدون اعتقاداً جازماً أن الأمة بفضل الله تعالى ما ضيعت القرآن ، وما تركت القرآن ، بدليل ما نراه الآن بفضل الله عز وجل ، إلا أننا في أمس الحاجة إلى أن نحول القرآن الكريم من جديد في حياتنا إلى واقع .

الأمة الإسلامية أمة بلاغ وأمة دعوة :

أقول : أنا أتألم غاية الألم أن أرى البشرية الآن قد تجاوزت المليارات السبعة ومع ذلك لم تسمع جلّ هذه المليارات آية من كتاب الله عز وجل ، من يتحمل مسؤولية هؤلاء الذين لم يصلهم هذا النور ، أقول الأمة أمة بلاغ وأمة دعوة ، إن الحق معنا وإن الباطل مع غيرنا ، لكننا وبكل أسف لم نحسن إلى الآن

أن نشهد لهذا الحق شهادة عملية خلقية على أرض الواقع ، ولم نحسن أن نُبلغ هذا الحق لأهل الأرض بحق ، وإن الباطل مع غيرنا ، ولكنه يحسن أن يصل بالباطل إلى حيث ينبغي أن يصل الحق ، ويحسن أن يلبس الباطل ثوب الحق ، وهنا ينزوي حقنا ويضعف كأنه مغلوب ، وينتفخ الباطل وينتفش كأنه غالب ، ونتألم لهذا الحق الذي ضعف وانزوى وللباطل الذي انتفخ وانتفش كأنه غالب ، ونعبر عن ألمنا بصورة من صورتين لا ثالث لهما إما أن يكون تعبيرنا سلبياً ساكناً لنزداد هزيمة نفسية على هزيمتنا ، وانعزالاً عن المجتمع والعالم ، وإما أن يكون تعبيرنا صاخباً متشنجاً ، وأحياناً دموياً ، وهنا سنخسر الحق حتى ونحن في طريقنا للذود والدفاع عن هذا الحق ، لأن أهل الأرض سيزدادون بغضاً للحق الذي معنا ، وإصراراً على الباطل الذي معهم ، فأنا أتألم أشد الألم وأنا حريص على هذه البشرية والله التي تهوي كالسكران ، وتضحك كالمجنون ، وتجري كالمطارد ، تئن من الألم ، تبحث على الأمن والأمان على الرغم من الوسائل الأمنية لمحاربة الجريمة ، وهي وسائل مبنية على التخطيط العلمي الحديث ، ومع ذلك فقدت نعمة الأمن والأمان .

ردّ الهجمة الشرسة على الأمة الإسلامية واجب على كل مسلم :

أرى البشرية الآن تبحث عن أي شيء مع أنها في الحقيقة تملك كل شيء ، ولكنها عندما ابتعدت عن مصدر النور ، وعن أصل العزة والكرامة عن القرآن الكريم ، فقدت كل شيء ، فأنا حريص على هدي البشرية وأتمنى أن تسمع البشرية القرآن ، أن تسمع عن الله ، وأن تعي مراد الله عز وجل ، وأن تعي مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من يسمع البشرية القرآن إلا أمة القرآن ، فواجب على أمة القرآن الآن أمام هذه الهجمة الشرسة التي ذكرها أستاذنا واجب على الأمة أن ترد رداً عملياً ، كفانا صراخاً وعويلاً ، يجب علينا إن أردنا أن نرد هذه الهجمة الشرسة أن نعاهد ربنا على أن يخرج من كل بيت من بيوت المسلمين حافظاً لكتاب الله ، أو حافظة لكتاب الله ، وعلى أن نحول هذا القرآن في بيوتنا، ومصانعنا ، ومدارسنا ، ومزارعنا ، وإعلامنا ، وتعليمنا ، بل وعلى شواطئ بحارنا يجب علينا نحن المسلمين ، نحن الموحدين ، أن نحول هذا القرآن من جديد إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة :

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)

(سورة الإسراء)

فضل القرآن الكريم :

أزيد الكلام جمالاً بكلام النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث السريعة الصحيحة ، أذكر

بعضها فقط :

((الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران))

[متفق عليه عن عائشة]

((لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ : الحسد هنا بمعنى الغبطة ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

((اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه))

[مسلم عن أبي أمامة]

((يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما))

[مسلم عن النواس بن سمعان]

هذا غيض من فيض أيها الأحبة ، هذا فضل القرآن ، وفي كلام النبي عليه الصلاة والسلام .

نجاة الأمة الإسلامية لا يكون إلا بالعودة إلى القرآن و امتثال أوامره و اجتناب نواهيه :

أؤكد وأختم بهذه الكلمات لا زال عطاء القرآن في عصر الفضائيات ، وفي عصر الذرة ، وفي عصر كما تفضل الدكتور النابلسي مازال عطاء القرآن الكريم متجدداً بفضل الله عز وجل ، و الأدلة في هذا الباب كثيرة وكثيرة ، هذا يملأ قلوبنا يقيناً في أن القرآن كلام ربنا ، لكن لا ينبغي أن نقف عند هذا التنظير السالب ، وعند هذه المتعة الثقافية الذهنية الباردة الباهتة ، وإنما يجب علينا أن نرتل ، وأن نعي القرآن الكريم في صدورنا ، وأن نحول القرآن في حياتنا إلى واقع ، وإلا فلا عزة لنا ولا كرامة ، الأمة حينما ابتعدت عن القرآن هانت ، وظنت أنها قد ركبت قوارب النجاة ، ولا نجاة والله إلا إذا عادت إلى القرآن الكريم ، فامتثلت أمره ، واجتنبت نهيه ، ووقفت عند حدوده ، وحينئذ تردد مع السابقين الصادقين قولتهم الخالدة :

(سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)

(سورة البقرة)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرحمة - ندوات مختلفة - الدرس (2) : مجلس الرحمة ـ وقفات مع نخبة من علماء العالم الإسلامي : د.محمد راتب النابلسي ، د.عمر عبد الكافي ، د.سعد الدين الهلالي ، د.العربي كشاط ، د.صلاح سلطان ، الشيخ محمد حسان ، الشيخ أمين الأنصاري.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-01-2000

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ ملهم :

في البداية نبدأ بعالمنا الجليل الدكتور عمر عبد الكافي ، أقول دكتور عمر جميل أن تذكر الله ولكن الأجمل منه أن تُذكر الناس بالله أليس كذلك ؟

على المسلم أن يكون إيجابياً لأن المسلم الإيجابي هو إنسان مقدام في صناعة الخير :

الدكتور عمر عبد الكافي :

أذكر الله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم ، أولاً مرحباً بأخوتي الفضلاء الذين أستمد من إخلاصهم الكثير حينما أوجد بينهم ، أستشعر أنني أستنشق عبير الخير ، و رحمات الأنس بالله ، فهم الذين نستمد بعد فضل الله تعالى من أفضالهم ، ومن تواجدهم معنا ، ومن تواضعهم الجم ، أن نتحدث بينهم جزاهم الله عن الإسلام خيراً ، وبعد :

كان يعقوب عليه السلام له اثنا عشر ولداً ، يوسف وأخوته ، إذا قسمنا المسألة نجد الأحد عشر فيهم صفات عديدة ، تربوا على أربع وثلاثين صفة سيئة ، من حقد ، وحسد ، وضغينة ، وترتيب مكائد ، وترتيب الصلاح على القتل ، وعدم محبة الخير ، والتعدي على حقوق الوالد ، تالله إنك لفي ضلالك القديم ، أمام هذا الخلق ، كان خلق يوسف في الجانب الآخر الحلم ، والتواضع ، والتسامح ، وإيثار الغير ، إلى غير ذلك ، وما أشبه رمضان والشهور التي تسبقه بيوسف وأخوته ، عاش يعقوب ينظر بعد أن فقد بصره إلى أبنائه الأحد عشر فما ردّ له بصره ، ولكن ردّ بصره إلا فضل الله عز وجل ، و أن ألقي على وجهه قميص يوسف رد البصر إليه مرة أخرى ، وكأن شهر رمضان حينما يأتي إلينا ونحن عشنا أحد عشر شهراً قبله ننسى ، وقد نحقد ، وقد ننسى ، وقد ندبر المكائد ، وقد نغتاب ، ونخوض في الأعراض ، تأتي ريح رمضان فيرتد قلب المؤمن الصائم بصيراً فيبصر الحقائق ، فكشفنا

عنك غطاءك ، الإنسان جميل أن يذكر ولا يستطيع أن يعيش دون ذكر ، لكن هذا مسلم سلبي، يجب أن يكون المسلم إيجابياً ، والمسلم الإيجابي هو إنسان مقدام في صناعة الخير ، فهو ليس مسلماً لازماً ، لأن الفعل في اللغة العربية فعل لازم و فعل متعدي ، المسلم يختصر الفعل المتعدي لكن ليس متعدياً على الغير وإنما متعدي بالخير للغير ، هذا المسلم الذي يذكر الله تعالى تصيبه أو تهبط على قلبه نفحات الرحمة ، نفحات الرحمة تجعل لسانه ذاكراً ، تجعل عينه مبصرة إلى حقائق الأمور ، تجعل قلبه يقظاً مع الله عز وجل ، وهو إنسان لأن لسانه يذكر وجوارحه تذكر ، فيده لا تمتد إلى شبهة ، ولا تمتد إلى حرام ، وقال علماؤنا : "من أكل الشبهة أربعين يوماً عصت جوارحه شاء أم أبى " .

فإذا أكل الحلال استجيبت دعوته ، وإذا أكل الحلال لانت جوارحه بطاعة الله ، إذا أكل الحلال أصبح مذكراً غيره بالله سبحانه وتعالى ، وهذه طبيعة المؤمن أن نذكر غيرنا ، والإنسان الذي يفقد الشيء لا يستطيع أن يعطيه ، أذكر أولاً ونذكر أنفسنا ونذكر الناس ولكن باللين والرفق ، وسبحان الله اشترط العلماء بالصديق الذي أصاحب أن تذكرني بالله رؤيته ، وأن يدلني على الله حاله ، وأن يزيد في علم المنطق مآله .

الأستاذ ملهم :

دكتور عمر أنا سوف ألتقط الخيط دكتور عربي من كلام الأستاذ الجليل عمر ، من خلال وذكرهم بآيات الله ، أنا أريد أن أنتقل إلى جزئية مهمة يوم عيد الفطر ، السؤال ما سر يوم عيد الفطر ؟

سرّ يوم عيد الفطر :

الدكتور عربي القشاط :

بسم الله الرحمن الرحيم ، تحية لكم وللأساتذة الأجلاء الذين يعتبر الاجتماع بهم عيداً ، كلمة العيد تعني ما يعود ، والعيد ظرف لا دخل للإنسان فيه ، يوم العيد لا دخل للإنسان فيه ، يوم العيد لوصفه ظرفاً هو عطاء رباني ، هذه أولاً .

ثانياً : ما موقع العيد بالنسبة لما يسبقه ولما يأتي بعده ؟

ثالثاً : مدلول العيد ، كسبي أم وهبي ؟ أي من مكاسب الإنسان أم هبة للإنسان ؟

السؤال الأول : العيد يعود مرة بعد مرة ، وعيد الفطر الذي تفضلت بالإشارة إليه يعود مرة كل سنة ، إذا اعتبرنا العيد ظرفاً ، لسنا صانعي هذا الظرف إنما هو تَفضُّل من الله عز وجل ، ولقد ذكرت في مقدمتك الجميلة وألححت على معاني الاختيار والاصطفاء ، العيد جزء من الزمان ، فما الذي جعل العيد يمتاز عن غيره من الأزمنة ؟ ليس هذا الامتياز لذات الظرف وإنما هو للمظروف ، وإذا كان الله

عز وجل قد تكرم على عباده بهذا الظرف ، فكل تكرم رباني يقتضي استجابة تمثل أو تعبر عن عبودية الإنسان ، هذه الاستجابة تسمى الشكر ، والشكر هنا ليست كلمة يقولها اللسان ، وإنما هو عبارة عن حال تنتعش به الأفئدة ، وألفاظ تتعطر بها الألسنة ، وأعمال تتزين بها وقائع الأيام .

النقطة الثالثة : اختيار زمان العيد ، زمان عيد الفطر جاء بعد دورة زمنية خاصة، هذه الدورة الزمنية تمتاز أيامها بعملية سلبية تتمثل في الإمساك عن المفطرات ، وتتميز لياليها بعملية إيجابية تتمثل في تفتح منافذ الإنسان التي منها تدخل أشعة النور ، التي تنبثق من التلاوة المباركة في صلاة التراويح يستمع إليها المسلمون .

هذه هي الملاحظات الأولى ولعل فيما يلي نستكمل .

الأستاذ ملهم :

دكتور صلاح ونحن نتكلم عن رمضان ، والمنح التي أعطانا إياها الله عز وجل لأمة الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، والفضائل التي منّ الله على هذه الأمة من خلال الأحاديث الصحيحة كما جاء في الصحيحين :

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أريد أن أنوه والتركيز على مسألة المداومة على العمل الصالح .

المستويات الثلاثة للعبادة :

دكتور صلاح :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وبعد :

في الحقيقة في غاية السعادة أن ألتقي بهذه الكوكبة من أخواننا وأساتذتنا العلماء الأجلاء في هذه الليلة ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يظلنا في الحب فيه في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

في الحقيقة هناك شكل ومضمون ، إذا صام المسلمون صوماً شكلياً وهو الجانب السلبي كما أشار أخي الدكتور عربي الكشاط وهو الامتناع ، الصيام لغة الامتناع :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

***

فهذا الامتناع إذا كان امتناعاً شكلياً فإنه لا يفرز تذوقاً للعبادة ، نحن أمام ثلاثة مستويات ، المستوى الأول : الإنسان الذي يعرض عن ذكر الله ولا يصوم أي نوع من الصيام لا شكلاً ولا مضموناً ، هناك نوع من الناس يمارس العبادة ممارسة تقف عند شكل الأحكام الفقهية ، لكن هناك من يتذوق حلاوة هذه العبادة ، والإمام مسلم لعله أشار بقوة إلى هذا الذي انتقل من الممارسة إلى هذا المضمون ، حينما أورد باباً في كتاب الصيام ، باب وجوب صيام شهر رمضان ، واستحباب ألا يُخلي شهراً عن صوم ، إذاً هو ذاق في رمضان ولم يعد يستطيع أبداً أن ينسى الصيام في بقية العام ، ذاق حلاوة القيام ثم جاهدت نفسي لأقوم، ثم جاهدت نفسي لأنام ، جاهدت نفسي في قيام الليل عاماً فذق حلاوته عشرين عاماً ، ذاق حلاوة الإنفاق في رمضان :

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة))

[رواه البخاري عن بن عباس]

فإذا تذوق حلاوة الإنفاق صار كما قال الشاعر :

تعلم بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تجبه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

***

لم يعد يستطيع أن يقول لا ، فلا تسألوه روحه فإنه لن يبخل بها .

على الإنسان أن ينتقل من الشكل إلى المضمون ومن الجانب العام إلى الجوهر :

إذاً هذه المستويات الثلاثة أصحاب الشمال ، أصحاب اليمين المقربون ، نحن يجب أن ننتقل ، نعوذ بالله أن نكون من أصحاب الشمال الذين يقصرون في أركان وواجبات الصيام ، أو الصلاة ، أو الزكاة، أو الحج ، أو غيره ، أو أن نقف فقط ، لا نحب أن نقف عند أصحاب اليمين ، وإنما يجب أن نتحرك إلى أن نكون من المقربين ، فإن الإنسان إذا جلس على مائدة الطعام ينتقي أطايبه ، كان سيدنا عمر لماحاً لهذا المعنى عندما قال : " لولا ثلاث ما أحببت المقام في هذه الدنيا ، أول شيء مكابدة الساعات ـ أي قيام الليل عندما يكون مجهداً ، شديداً في التعب ثم يقوم بين يدي الله ـ وصوم الهواجر ـ ليس الصوم العادي الطبيعي ـ ومخالطة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقي الآكل أطايب الثمر " .

إذاً الإنسان ينتقل من الشكل إلى المضمون ، من الجانب العام إلى الجوهر فيتذوق، فتجد من يقول له : صم يوماً كل أسبوع ، أو صم ثلاثة أيام ، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذاق حلاوة القيام والصيام نذر أن يصوم كل يوم ، وأن يقوم كل ليلة حتى تزوج ، وفي صحيح البخاري أن :

((قال : أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا ، ولم يفتش لنا كنفا))

[البخاري عن عبد الله بن عمرو]

إذاً يحتاج إلى علاج لإعادته إلى التوازن ، فلما ذهب إلى النبي صار يخفض حتى يصل إلى التوازن ، قال له :

((صم كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر ، قال : قلت أطيق أكثر من ذلك قال : صم ثلاثة أيام في الجمعة ، قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : أفطر يومين وصم يوماً، قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : صم أفضل الصوم صوم داود ، صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرة))

[البخاري عن عبد الله بن عمرو]

الروايات الأخرى تقول استمر إلى آخر دهره على هذا النحو ، نحن نريد عباداً ونساكاً على هذا المستوى الرفيع من التعبد لله تعالى .

الأستاذ ملهم :

نقول عن رب رمضان هو رب الشهور ، والمداومة على العمل الصالح شعار المؤمنين ، نتكلم على ثمار المداومة على العمل الصالح ؟

ثمار المداومة على العمل الصالح :

الأستاذ محمد حسان:

الحمد لله ، وصلِّ الله وبارك على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

حياكم الله جميعاً أيها الأخوة الفضلاء الأعزاء ، طاب سعيكم وممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً ، أود أن أقول أيها الأفاضل بأن الاستقامة ليست كلمة ترددها الألسنة لا في مثل هذه اللقاءات المباركة ، ولا في خطب الجمعة والمحاضرات ، الاستقامة على الطاعة لغة هي الاستواء والاعتدال ، الاستقامة اصطلاحاً هي الاستقامة على الصراط المستقيم ، بامتثال الأمر، واجتناب النهي ، والوقوف عند الحد بعلم وإخلاص واتباع ، فهي دائرة على الأقوال والأعمال والأحوال ، بمعنى أن تستقيم الأقوال على الصدق ، وأن تستقيم الأعمال على الاتباع ، وأن تستقيم الأحوال على الإخلاص ، هذا هو حال المستقيم على طاعة الله عز وجل، الذي يعبد الله عز وجل فوق أي أرض وتحت أي سماء ، فهو عبد لله سبحانه

وتعالى ليس عبد لشهر من الشهور ، ولا لزمن من الأزمنة ، ولذلك فهو مداوم على العمل الصالح ، قد لا يجد العبد الصالح المستقيم على طاعة الله زيادة على العمل بعد رمضان باستثناء الصيام اليومي لهذا الشهر العظيم ، وإلا فسترى المؤمن صائماً في بعض الأيام ، ستراه قائماً بفضل الله عز وجل قلّما تفوته ليلة ، فالليل أنس المحبين وروضة المشتاقين ، وإن لله عباداً يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ، ويحنون على غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها ، حتى إذا ما جناهم الليل أي ليل ؟ واختلط الظلام ، ونصبت الفرش ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، قاموا نصبوا على الله أقدامهم ، ورفعوا إلى الله أيديهم ، وقلبوا إليه أفئدتهم ، ووضعوا على التراب جباههم ، ومرغوا في الوحل أنوفهم، وعجلت إليك ربي لترضى ، فالمؤمن يتعجل بالطاعة ، ولا يسوف ، ولا يتكاسل ، وإنما هو سابق دائماً إلى الخيرات والطاعات .

1- المداومة على العمل الصالح أعظم ثمرة للاستقامة :

أما ثمار المداومة على العمل الصالح فيكفي فقط أن أضع رؤوس أقلام ، وأقول إن أعظم ثمرة للاستقامة المداومة على العمل الصالح ، الذي يرضي الله عز وجل ، لأن العبد بذلك ينال محبة الرب سبحانه وتعالى ، وأي شرف :

((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطينه ، وإن استعاذ بي أعذته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مَساءته))

[البخاري عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

أو مُساءته وكلاهما صحيح لغة لكن الفتح أبلغ ، هذا فضل الله على العبد الصالح المداوم على طاعة الله .

2 ـ المداومة على طاعة الله سبب لتفريج الهم والضيق :

ثم من أعظم ثمرات المداومة على طاعة الله ، لأنها سبب لتفريج الهم والضيق ، وما أكثر الهم والضيق الذي يملأ صدوراً كثيرة ، وكلنا يحفظ حديث الصحيحين ، حديث الثلاثة الذي أغلق عليهم باب الغار حين سقطت صخرة من فوق الجبل ، كل واحد منهم ما توسل إلى الله إلا بعمل صالح ، يرجو أن

يقربه هذا العمل من الله ، ويرجو أن يكون هذا العمل مقبولاً من عند الله عز وجل ، الأول توسل إلى الله ببره لوالديه ، والثاني توسل إلى الله بتعففه عن الزنا ، وتوسل الثالث إلى الله بأمانته واستثماره للأجير .

3 ـ العمل الصالح والمداومة عليه سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب :

أيضاً من أعظم ثمرات المداومة على العمل الصالح أيها الأخوة الأفاضل ، أن العمل الصالح والمداومة عليه سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب ، يا لها والله من ثمرة :

((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ ، أي أصبح كالمرآة الصافية ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ))

[الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

4 ـ حسن الخاتمة :

وأختم بثمرة الخير من ثمرات المداومة على العمل الصالح ، ويا لها والله من ثمرة ألا وهي حسن الخاتمة ، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة ، وثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ، قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

(سورة فصلت الآية : 20)

وفي وقت تنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة على العمل الصالح قولان ، الأول : أنهم يتنزلون عليهم وهم على فراش الموت ، والثانية : أنهم يتنزلون عليهم وهم يخرجون من القبور يوم القيامة ، يوم الفضيحة الكبرى ، أسأل الله أن يسترنا في الدنيا والآخرة ، ومن جميل ما قاله الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ قال : " قد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه "

وأختم بهذا الحديث الجميل :

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فَقِيلَ كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ))

[الترمذي عَنْ أَنَسٍ]

ثم يقبضه عليه .

الأستاذ ملهم :

دكتور راتب الشيخ الجليل حينما تكلم عن المصارعة في الخيرات هنا نتذكر الأحاديث ، سيدنا أبو هريرة كما جاء في صحيح مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((من أصبح اليوم منكم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا يا رسول الله ، من تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا يا رسول الله ، فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا يا رسول الله ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا يا رسول الله ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ما اجتمعت في رجل إلا ودخل الجنة))

مسألة أننا نحث الناس على المصارعة في الخيرات .

العبادة أن تلبى حاجات العقل و الجسد و القلب معاً لنتفوق و نبتعد عن التطرف :

دكتور راتب النابلسي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أولاً إنها لمضنية مؤلمة تلك الجهود التي تبذلها النجوم لتضيء في حضرة الشموس ، هذه واحدة ، الشيء الثاني الإنسان إذا عرف سرّ وجوده وغاية وجوده ، صحت حركته ، علة وجود الإنسان عبادة الله ، و العبادة في أدق تعاريفها طاعة طوعية وليست قسرية ، لأن الله ما أراد أن تكون العلاقة فيه إلا علاقة حب ، قال تعالى :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية : 256)

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية : 54)

هي طاعة طوعية ، الأقوياء يطاعون قسراً ، أما الله عز وجل يريد من عباده أن يطيعوه بمبادرة منهم، وعن حب ، فالحب أساس في الدين ، ممزوجة بمحبة قلبية ، فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه ، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه ، ثم أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

إذاً في هذا التعريف الدقيق كتلة سلوكية ، وكما تفضل أستاذنا الجليل ما لم نستقم على أمر الله ـ لن لتأبيد النفي ـ لن نقطف من ثمار الدين شيئاً ، من دون استقامة الدين ثقافة، الدين فلكلور ، الدين خلفية إسلامية ، أرضية إسلامية ، الدين تصور إسلامي ، زخرفة إسلامية ، أقواس إسلامية ، أما الدين الحقيقي منهج لذلك العبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، ذلك أن الإنسان عقل يدرك وقلب يحب وجسم يتحرك ، غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب

الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، ما لم تلبَ حاجات العقل والقلب والجسم معاً نتطرف ، أما إذا لُبيت معاً نتفوق ، هذه العبادة .

الإنسان ما لم تصح عبادته التعاملية لن يقطف من العبادة الشعائرية ثمارها :

والصيام عبادة والحديث عن الصيام ، هناك عبادة شعائرية وهناك عبادة تعاملية، والحقيقة الخطيرة أنه ما لم تصح العبادة التعاملية لن نقطف من العبادة الشعائرية ثمارها ، الدليل :

((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا ، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِّهِمْ لَنَا ، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

[ابن ماجه عن ثوبان]

((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))

[البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة]

(أنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ {53})

(سورة التوبة الآية : 53)

وإذا وضع الحاج رجله في الركاب وقال :

((من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك ؛ قال الله عز وجل : لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك))

[رواه الشيرازي وأبو مطيع عن عمر]

أخطر شيء أتمنى أن يكون واضحاً أمام الأخوة المشاهدين أن الإنسان ما لم تصح عبادته التعاملية من صدق وأمانة لن يقطف من العبادة الشعائرية ثمارها ، لذلك حينما التقى سيدنا جعفر بالنجاشي حدثه عن الإسلام قال :

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه ، وصدقة ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

من عرف علة وجوده صحت حركته و حقق من الدنيا هدفها :

إذاً :

((بُنِي الإسلامُ على خَمْسٍ))

[البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر]

هذه الأعمدة ، أما الإسلام بناء أخلاقي ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " الإيمان هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان ".

لكن هناك عبادة شعائرية وهناك عبادة تعاملية تحدثت عنها قبل قليل ، هناك عبادة الهوية أنت من ؟ أنت قوي العبادة الأولى إحقاق الحق ، أنت غني العبادة الأولى إنفاق المال ، أنت عالم العبادة الأولى أن تلقي العلم وألا تأخذك في الله لومة لائم ، أنت امرأة العبادة الأولى رعاية الزوج والأولاد ، هذه عبادة الهوية ، هناك عبادة العصر إذا أراد الطرف الآخر إفقارنا فاستخراج الثروات ، و تصنيع الطاقات أحد أنواع العبادة ، وإذا أرادوا إذلالنا أن نضحي بالغالي والرخيص ، والنفيس والنفيس ، العبادة علة وجودنا ، فحينما نعرف علة وجودنا تصح حركتنا وإن صحت حركتنا حققنا من الدنيا هدفها .

الأستاذ ملهم :

بارك الله فيك دكتور راتب ، إذاً نقول : علق قلبك بالله ولا تعلقه بالمخلوقين ، فمن توكل عليه كفاه ، ومن اعتصم به نجاه ، ومن فوض الأمر إليه هداه .

دكتور راتب النابلسي :

من أحبنا أحببناه ، ومن طلب منا أعطيناه ، ومن اكتفى بنا عما لنا ، كنا له ومالنا.

الأستاذ ملهم :

دكتور سعد في كلام شيخنا الجليل دكتور راتب السؤال لماذا نعبد الله ؟

العبادات ينطلق المسلم من خلالها إلى إعمار الأرض و إحياء الأنفس و حماية العقول :

دكتور سعد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، في البداية تحية إلى أساتذتي ، ومشايخي ، وزملائي ، كما أحيي الأستاذ ملهم على إدارة هذه الجلسة الجميلة في هذه الأمسية الجميلة ، وفي هذه الليلة المباركة ، وتحية عطرة للأخوة والأخوات ، المشاهدين والمشاهدات ، أما عن هذا السؤال فهو في جملته فلسفة حياة الإنسان :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)

(سورة المؤمنون)

العبادة يظن البعض أنها طقوس ، أو شعائر ، أو مناسك ، والحقيقة أن عبادة الإنسان لربه تشمل إعمار الكون ، كما تشمل طاعة الله عز وجل في المناسك والطاعات والشعائر المعروفة ، لعل المقاصد الشرعية التي نجح الإمام الشاطبي في تأسيسها ، وبيان أن الشريعة الإسلامية جاءت ترعى تلك المقاصد ، وهي مقاصد كل شريعة سماوية ، الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال ، يعلمنا بأن كلية الدين ومقصد الدين الذي يعرفه عامة الناس بالعبادة ، إذا سألت أحداً من المسلمين ما المقصود بكلية الدين ؟ يقول : العبادات ، ونسي أربعة أخماس الإسلام الذي جاء الإسلام في تأسيسه ، وحمايته ، وحفظه من النفس والعقل والعرض والمال ، المتأمل في العبادات من المناسك من صلاة ، وصيام ، وحج ، وزكاة ، والشهادتين ، أو الطهارة ، يرى أن هذه العبادات الخمس هي خمس الإسلام ، هذه العبادات التي هي خمس الإسلام وهي خمس أركان الطهارة ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، هذه العبادات خمس الإسلام ، هذه العبادات ينطلق من خلالها المسلم إلى إعمار الأرض ، إلى إحياء الأرض ، إحياء الأنفس ، حماية العقول ، حماية الأعراض ، حماية الأموال ، تنمية الحياة التي يعيشها الإنسان ، ويدل على ذلك قول الله عز وجل :

(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (61))

(سورة هود)

لن تقوم القيامة إلا بعد إعمار الأرض و رواجها :

وأزعم أن القيامة لن تقوم حتى تعمر الأرض ، وتخضر الأرض الصحراوية ، ونجد عماراً لكل بقعة في الأرض ، مصداق ذلك قول الله عز وجل :

(حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ)

(سورة يونس الآية : 24)

إذاً لن تقوم القيامة إلا بعد إعمار الأرض ، وإعمار الأرض كما قال تعالى :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30))

(سورة البقرة)

والخليفة في اللغة هو المصلح ، خليفة أي جاعل في الأرض مصلح ، مصلح في الحياة ، مصلح مع النفس ، مصلح مع المال ، مصلح مع مقاصد الشريعة كلها ، نرى بأن العبادات من الطهارة ، والصلاة، والزكاة ، والحج ، ينطلق من خلالها المسلم إلى هذا البناء الهرمي الحضاري الكبير .

التتابع في العبادات :

نجد في هذه العبادات تتابعاً ، فالصلاة المفروضة خمس كما ورد في حديث الأعرابي كم فرض ربك علينا ؟ قال : أن تصلوا الخمس ، قال : هل هناك من زيادة ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، وأن تصوم الشهر، هل هناك من زيادة ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، وعلمه الزكاة والحج إلا أن تطوع ، إذاً هذه هي الفرائض الأساسية إلا أن لها تتابعات من مثلها ، فمن ذاق طعم الصلاة من الصلوات الخمس انطلق ذاتياً إلى البحث عن النوافل والسنن لأنه استطعم معنى العبادة ، أما الذي صلى وكانت صلاته جوفاء بعيدةً عن الجوهر والمعنى فإنه سيكتفي بهذه الصلوات الخمس ، ويدعي بأنه مسلم بهذه الشكليات والعبادات التي ذكرها الفقهاء دون تتابعاتها ، كذلك أيضاً من صام الشهر واستطعم معنى الصوم وذاق التقوى التي أشار إليها القرآن الكريم :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183))

(سورة البقرة)

فمن مارس هذه التقوى وذاقها فإنه سينطلق تلقائياً من نفسه للبحث عن النوافل من الصيام ، سواء بصيام الاثنين والخميس ، أو بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، أو صيام يوم ويوم كما ورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في الصحيح .

كذلك أيضاً من ذاق معنى الزكاة المفروضة التي تقدر باثنين ونصف بالمئة إذا أخرجها للفقراء ، واستطعم معناها ، فإنه سينطلق تلقائياً لإخراج ما هو أكثر ، والعطايا لأصحاب الحوائج .

كذلك من ذاق طعم الحج أو العمرة وتعرف على تلك الروحانيات فإنه قد أدى الفريضة ، وسقط عنه الفرض لمرة واحدة إلا أنه سينطلق من هوى قلبه الإيماني ، ومن انسيابية نفسه الإيمانية ، بعد أن ذاق طعم المناسك ينطلق إلى الحج مرة ثانية وإلى العمرة مرة ثانية .

هذه العبادات لها تتابعات تأخذ الإنسان منها إلى مثلها ونظائرها إن عاشها ، وإن ذاق حلاوتها ، وإن مارسها بطاعة وإخلاص لله :

((إنما الأعمال بالنيات))

[البخاري عن عمر بن الخطاب]

لن يكون الإنسان نافعاً إلا إذا استقام على أمر الله عز وجل :

الإنسان لا يقوم بالوظيفة لأنه يؤدي أركاناً ، فالصلاة عبء دعني أخبط هذه الركعات ، دعني أؤدي هذا الصوم ، دعني أمرر هذا اليوم فإنه حار ، كم بقي من الزمن حتى المغرب حتى أفطر ؟ لم يتذوق بعد طعم العبادة ، نريد منه أن يعيش العبادة يستطعمها ، فإن استطعمها فإننا سنأمن عليه في حال الاستقامة بعد ذلك ، ثم سيكون إنساناً نافعاً في حياته ، سيكون مجتهداً في دراسته ، لا يقبل إلا المركز الأول ، سيكون مجتهداً في عمله لا يقبل إلا أن يكون أول المقدمين على العمل وليس متباطئاً ، وآخر من يخرج من عمله ، كذلك في رعايته لأسرته ، رعايته لإخوانه ، في رعايته لجيرانه ، في تعامله مع الطريق ، في تعامله مع المواصلات العامة ، في تعامله في كل نواحي الحياة ، سنجد إنساناً نافعاً لأنه يؤمن من إعمار الأرض طاعة لله ، أربعة أخماس الإسلام في إعمار الأرض ، وخمس الإسلام في طاعة الإنسان لله في هذه العبادات .

الأستاذ ملهم :

شكراً أستاذ سعد ، لماذا نعبد الله إلى غير ذلك ؟ ننطلق من قول الله عز وجل :

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

(سورة الأنعام)

الشيخ أمين في مسألة العبادة أيضاً نريد أن نؤكد على مسألة حلاوة القرب من الله عز وجل .

أعظم أسباب الراحة والهدوء أن الله هو الذي يذكر الذاكر ويكافئ الطائع :

الأستاذ أمين :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، لله الحمد كله ، ولله الشكر كله ، ولله المجد كله ، سبحانه وتعالى وجلّ جلاله ، حلاوة الإيمان قال الله عز وجل :

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

(سورة الرعد)

وقال النبي عليه الصلاة والسلام :

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

الإنسان يمكن أن يحب أشياء كثيرة جداً ، ولكن كل ما يحبه متعب ، يحب أبناءه يتعبوه ، يحب المال يتعبه ، يحب امرأة تعذبه ، لماذا ؟ لأنها متغيرة ، متقلبة ، فانية ، أما حب الله عز وجل باق ، وحب الله عز وجل جميل ، وحب الله عز وجل يعطيك ولا يأخذ منك ، لذلك هناك جزئية لطيفة في قوله تعالى :

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

(سورة الرعد)

لماذا الإنسان يطمئن قلبه مع ذكر الله أو أي عبادة يفعلها وهذا أمر معروف ؟ الإنسان يصوم يبقى سعيداً بالصيام أكثر من غيره ، يتصدق يبقى سعيداً أكثر من غيره ، بار لأمه ، محسن لأطفاله ، يشعر بسعادة لماذا وبالذات بذكر الله عز وجل ؟ قالوا : لأنها تطرد الشياطين ، والشياطين سبب النكد في الدنيا ، أعظم أسباب الراحة والهدوء أن الله هو الذي يذكر هذا الذاكر ، وأن الله هو الذي يكافئ هذا الطائع .

ذكر الله وعبادته تصفي الأجواء وتبعد الشياطين وتأتي بالملائكة :

أذكر لك ثلاثة أمثلة في أقل من دقيقتين ، المثل الأول وهو عجيب أن الشجر إذا ذكر الله يحب السجود، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رأيت يا رسول الله شجرة تقرأ سورة (ص)فعند جاءت عند موضع السجود سجدت قالت : اللهم أعطني بسجدتي هذه أجراً ، وحط عني بها وزراً ، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته ، النبي عليه الصلاة والسلام قال أسجدت أبا سعيد؟ قال : لا ، قال : أنت أحق بالسجود من الشجرة ، قال: فرأيت رسول الله سارع وقرأ سورة صاد حتى إذا أتى على موضع السجود سجد صلى الله عليه وسلم وقال مثلما قالت الشجرة .

هذا الهواء من حولنا بذكر الله يحلو ، يبقى أفضل ، ذكر الله وعبادة الله تصفي الأجواء وتبعد الشياطين، تأتي بالملائكة ، يذكرك الله فيمن عنده ، حتى الجبال ، الحجارة ، جدران المنزل ، قال تعالى:

(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا (21))

(سورة الحشر)

أي القرآن عندما يقرأ في بيتٍ النفس تخشع ، حتى الهواء والجدران ، لأنها كلها تذكر الله ، والحجر كان يسلم على النبي عليه الصلاة والسلام .

المخلوقات أيضاً تخشع وتخضع وتذكر الله عز وجل :

المثل الثاني يرويه أبو هريرة : قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب سورة النجم ، فلما أتى عند موضع السجود سجد رسول الله وسجد أصحابه بسجوده ، قال: فرأيت الدواة والقلم قد سجد بسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى المخلوقات تخشع وتخضع وتذكر :

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44))

(سورة الإسراء)

الواحد عندما يعمل عبادة يمشي في صف واحد بنفس الاتجاه الذي يمشي به الكون كله ، ويبقى سعيداً وكل شيء يكون متناسقاً ، أما عندما يكون عاصياً يبقى عكس هذا كله فيتعس ، أقول قولي هذا وأستغفر الله .

الأستاذ ملهم :

أنا أقول من وجد الله فماذا فقد ؟ ومن فقد الله فماذا وجد ؟ ننتقل إلى محور آخر دكتور عمر في مسألة المرأة ونحن الآن في المسابقة النسائية ، وأرجو الله أن يديم على هذه البلدة أمنها وأمانها وسائر بلاد المسلمين .

إن أعداء الإسلام قد علموا مكانة المرأة ، وعلموا أنها من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي ، راحوا يخططون لها ، ويضعون المؤامرات الخبيثة ، والحقيرة لماذا ؟ لإنزالها من على عرش حيائها التي يوم أن استوت عليه هزت المهد بيمينها ، وزلزلت عروش الطواغيت والكفر ، وأنجبت للأمة الأبطال والعلماء ، فعز على الأعداء أن تجود المسلمة من جديد على أمتها بالعلماء العاملين إلى غير ذلك ، نريد وقفة عن مكانة المرأة قبل الإسلام وبعد الإسلام ؟

مكانة المرأة قبل الإسلام وبعده :

الدكتور عمر عبد الكافي :

هذا منحى آخر ، ما شاء الله ولا قوة إلا بالله ، عندما عقمت أو انتهى تاريخ رفع علم الرسالة عن بني إسرائيل ، كأن ما وجد بينهم رجل صالح ينجب صالحاً ، فأنجبت مريم بقدر الله ، وبمعجزة إلهية روح الله عيسى ، جاء من غير أب ، لأن بني إسرائيل لم يكن عندهم إنسان صالح ينجب صالحاً ، هذا أمر ومريم ومكانتها في الإسلام وفي دين الله عز وجل كبقية ، هي مثل من الأمثلة ، تجد أيضاً هاجر ، وهي نأخذ عنها بعض المناسك في العمرة والحج ، عندما صارت تسعى بين الصفا والمروة ، وتهرول

بين الميلين الأخضرين ، وتنوب على مرّ التاريخ كله عن بناتها بنات حواء ألا يهرولن ، وإنما الذي يهرول هو الرجل، وهذا منسك أيضاً من المناسك التي نأخذها عن امرأة ، طبعاً من كبريات صانعي التاريخ آمنة بنت وهب التي أنجبت لنا حبيبنا صلى الله عليه وسلم ، القرآن الكريم عندما بدأ بذكر منة الله على الإنسان قال :

(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49))

(سورة الشورى)

قدم الإناث ، لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام من كان عنده ثلاثة أولاد يدخلونه الجنة ، لا ، إنما ثلاث بنيات واثنتان وواحدة ، وأنا أقول لبناتي في البيت أو في أي مكان ، للمريدات الفضليات أقول : لو أن كل أب يريد أن يقبل يد إنسان أو رأسه فليقبل يد ابنته الصالحة ، لأنها سبب في دخوله الجنة ، فهي من أسباب منة الله عليه ، ومن ليس عنده بنت ربما ـ سبحان الله ـ الحنان عنده يكون غير طاغ لأن البنت تمثل الحنو ، ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يقف لأحد إلا لفاطمة رضي الله عنها ، ويقبلها بين عينيها ، وكانت تشبه أباها صلى الله عليه وسلم في صغير الأمر وكبيره ، حتى إنها يوم خرجت تقابل أبا بكر مشيتها كمشيته ، ومنطقها كمنطقه ، إن أشارت أشارت بكفها كله ، وإن كلمت تضع سبابتها على كتفها كما كان يصنع أبوها صلى الله عليه وسلم ، وكانت أم أبيها كما رويت كتب السيرة .

الاختلاف و التماثل :

المرأة عندما ننظر إليها في الإسلام ، ولا ننظر إليها كمخلوق آخر ، المرأة زوج، والرجل زوج ، وكلاهما زوجان ، والزوج هو الذي يحتاج إلى مثيله ، ولذلك لم يقل رب العباد سبحانه وتعالى في مسألة الزوجية إلا مسألة التماثل ، قال :

(يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)

(سورة البقرة الآية : 35)

(هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ (56))

(سورة يس)

(وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ (90))

(سورة الأنبياء)

أما في أصناف أخرى قال تعالى :

(امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ (10))

(سورة التحريم)

لماذا ؟ امرأة نوح ، آدم وزوجه صالحان ، فصارت الزوجية تماثلية ، و زكريا وزوجه صالحان ، فأصبحت هناك الزوجية تماثلية ، المؤمنون الصادقون الذين سوف يهبهم ربهم جنة الرضوان من الصالحين هم وأزواجهم ، أما امرأة نوح ولوط لم يقل زوج نوح وزوجه ، لأن نوح ولوط كلاهما صالح ، فهنا لم تكن هناك زوجية التماثل ، امرأة نوح وامرأة لوط ، آسيا امرأة فرعون كانت امرأة صالحة وزوجها جبار من الجبابرة ، فلم يقل وزوج فرعون بل قال : وامرأة فرعون .

أنا أدعو الله عز وجل أن يكون كل المشاهدين والمشاهدات من الزوجية ، وليس من باب الاختلاف وإنما من باب التماثلية .

الأستاذ ملهم :

مسألة المرأة دكتور عربي ، المرأة في الإسلام جوهرة غالية ، ودرة ثمينة ، ولؤلؤة مكنونة ، فهي الأم، والبنت ، والأخت ، والزوجة ، والخالة ، والعمة ، أنا أريد من حضرتك أن تركز على مسألة المرأة كأم وكزوجة .

التركيز على مسألة المرأة كأم و كزوجة :

الدكتور عربي :

أما التركيز على المرأة كأم وكزوجة ينبغي أن نتذكر هذه الحقيقة ، أولاً : يستحيل أن نجد في كتاب الله عز وجل حديثاً عن المرأة منفصلاً عن حديث عن الرجل ، الله جل جلاله يأمرنا باتخاذ الموقف الأسلم من كتابين ، من كتاب الوحي يقول لنا :

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29))

(سورة ص)

السلف الصالح طبق هذا الأمر ، تدبر ففهم ، وتذكر فعمل ، امتاز سلفنا الصالح بالعبقرية في إصلاح النظر وإصلاح العمل ، وامتازت أجيالنا المتأخرة ببلادة الأذهان وعطالة العمران ، هذه الحقيقة ، امتاز السلف الصالح بتفجير طاقات الأذهان ، وتكميل وتزيين عالم العمران ، وامتزنا بالعكس ، هذه أولاً .

ثانياً : في كتاب الله عز وجل دعوة إلى النظر :

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(سورة يونس الآية : 101)

الكتاب الأول تدبروا ، تذكروا ، تفكروا ، اعقلوا ، والكتاب الثاني انظروا ماذا في السماوات والأرض، ننظر ماذا في السماوات والأرض ، ماذا نستنتج ؟ نستنتج أهم خاصية يختص بها هذا الكون ، يختص

بما ؟ يختص بأبي النظام وأمه ، ما هو أبو النظام وأمه ؟ الزوجية ، إذاً الحديث عن المرأة ووضعها ، والحديث عن الرجل ووضعه ، هذه لوثة ثقافية تلقيناها ببلادة ، وشعور بالدونية من غيرنا .

في ديننا ليس هناك فصل بين المرأة والرجل :

في ديننا ليس هناك فصل بين المرأة ندفنها في وهدة من الوهدات والرجل يتفرعن لأنه معقد ، لا ، هذه قضايا غربية ، المرأة شيطان والزواج شرّ لا بد منه ، نحن لا ، تحدث الله عن الزوجية في عالم الخلق لينبهنا إلى أن الوحدانية خاصية من خاصيته سبحانه وتعالى ، ليبين لنا أنه المتفرد ، المشكلة أين ؟ لماذا المجتمع الإسلامي صلح ؟ صلح لأنه كان يربط الزوجية ويمسكها بما يقومها ، و هو الرجوع إلى الوحي ، التوحيد ، التوحيد ليس فلسفة ، وليس شقشقة لسان ، وليس مجردات ، التوحيد يعرف بثماره ، وثماره تتمثل في موقفنا من الله عز وجل ، وتتمثل في موقفنا من نفوسنا ، وتتمثل في موقفنا فيما يتعلق بنسج العلاقات الاجتماعية ، كما تفضل أستاذنا في اللغة العربية في بداية اللغة العربية لم يكن العرب الأقحاح يقولون إنسانة ، ولما انحط العرب والمسلمون وجهلوا لغة الإسلام صاروا يقولون إنسانة ، إنسان يطلق على الذكر والأنثى ، إنسانة لوثة من لوثات الترجمات ، و الآن مشكلة الغرب ، نحن نستطيع في اللغة العربية أن نقول معلمة ، معلم ، نستطيع أن نقول وزيرة ، وزير صرف ، في اللغة الفرنسية لا يوجد وزيرة هناك وزير ، ولما جاءت حقوق المرأة قالوا لا بد من أن نبتدع كلمة في اللغة الفرنسية حتى نقول وزيرة ، وأعرف وزيرات في فرنسا يغضبن إذا كتبت لهن وقلت الوزير ، فيجب أن تقول السيدة الوزيرة ، وتستخدم في هذه اللغة ، إذاً المشكلة انحطاط المرأة عبارة عن انحطاط الرجل ، وهوان المرأة عبارة عن هوان الرجل ، المجتمع كالطير ، الطير لا يطير إلا إذا كان هناك توازن بين جناحيه ، نحن جئنا وكسرنا جناحاً وبعد فترة قصيرة اشتغل الجناح وحده فتكسرا فأصبحنا تحت بعد أن كنا فوق :

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

(سورة آل عمران)

الانفلات والانسلاخ والجهل والتجاهل أخطر من التولي في الميدان العسكري :

المشكلة مشكلة مجتمع وليس مشكلة امرأة ولا مشكلة رجل ، ثم نتحدث كما تفضلت ، نعم التركيز المرأة ثغر خطير والله يأمرنا أن نرابط على الثغور :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200))

(سورة آل عمران)

ما الحكمة في عطف المصابرة على الصبر ؟ تصبر وحدك لكن أنت عندما تصبر وأنت كنت صاحب حق ، الآخر صاحب الباطل ، صبر يقابل صبراً ويناطح صبراً ينتج عنه مصابرة ، مرابطة ، المرابطة على الثغور هذا باب عظيم من أبواب الإسلام ، والصالحون عندما يوصون بعضهم أنت على ثغرة احذر ، اليوم الذي على الثغر نام ، والذي على الثغر الآخر نام ، والذي على الثغر الآخر نام ، فوجدنا أنفسنا محاطين من كل جانب ، وصرنا نتولى يوم الزحف ، والتولي الثقافي أخطر من التولي في الميدان العسكري ، الانفلات والانسلاخ والجهل والتجاهل ، يداك أوكتا وفوك نفخ .

ما هو الحل ؟ العودة إلى الأصول ، وأستطيع أن أعود ، وهناك علاقة وثيقة بين الحلقة الأولى المتعلقة بالصيام ، وأرجع إلى المسألة .

الأستاذ ملهم :

تأتي نرجع بعد الجزئية أنتقل إلى الأستاذ صلاح ، فتحت لنا محوراً مهماً جداً ، لماذا تركيز الهجوم على المرأة دائماً ؟

الهدف من تركيز الهجوم على المرأة دائماً :

الأستاذ صلاح :

الحقيقة أعداء الإسلام يدركون جيداً أن شهوات النفس من أعظم شهواتها هي شهوة الرجل نحو المرأة، وشهوة المرأة نحو الرجل :

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ)

(سورة آل عمران الآية : 14)

أول شيء ، وبالتالي عندما أراد الصهاينة على سبيل المثال لا الحصر أن يجعلوا هذه الأمة خرساء عمياء حتى ينطلقوا في أرض فلسطين ، جعلوا من بروتوكولاتهم أنهم سيسعون إلى أن ترتكب الزنا تحت ضوء الشمس ، وها نحن في هذه الحقبة المؤلمة الآن تلوث الفضاء بهذه الصور المؤلمة في واقعنا المعاصر ، حتى تخرج المرأة ويخرج الرجل عن العفة ، عن الطهارة ، عن الكرامة ، وننسى تماماً الرسالة التي خلق الإنسان من أجلها كما ذكر الدكتور محمد راتب النابلسي ، هذا الخيط الذي أرادوا أن يشدوا العالم حتى يزحف على فرجه وبطنه ، وصار هذا الزحف شيئاً رهيباً في العالم ، عالم القرن الحادي والعشرين على مدار خمسة عشر عاماً التجارة الأولى في العالم تجارة الجنس ، ثانياً : المخدرات وهي مرتبطة بالجنس ، ثالثاً : السلاح ، هذا عالم رديء ، الإنقاذ أن نرجع إلى هذه الأصول، فإننا يجب أن نصل إلى دقة الاتباع مع النص ، وجودة الإبداع مع عدم وجود النص أي في

أمور الدنيا ، في هذا الإطار نستطيع أن نصل إلى هذا التوازن في الارتفاع في أمور الدنيا والآخرة معاً.

ابتعاد الطرف الآخر عن وحدانية الخالق وزوجية المخلوق :

آخر بحث عملته " المرأة والرجل بين المقام والمهام " ، قلت : سأتحدث بلغتين ؛ لغة التأسيس ولغة الترسيخ ، أما لغة التأسيس فأبدأ بالدليل العقلي البحت كي نصل إلى صحة الدليل النقلي لمن لا يؤمن بالنص ، ولغة الترسيخ أبدأ بالدليل النقلي لنؤكد ونرسخ الإيمان بهذا الدليل النقلي بأدلة عقلية أو بأدلة من التدبر .

قلت : إن الذين يقولون إن المرأة مثل الرجل إلى المستوى الذي خرج من عندنا من أرض الإسلام ، امرأة ناثرة الشعر تأتي إلى أمريكا وتقف لتقول العنوان الذي وضعوه أمام تقريرها ، أن هذه تمثل المسلمين في العالم الإسلامي ، تقول : لماذا نقول الله لا إله إلا هو الحي القيوم ؟ ولا نقول الله لا إله إلا هي الحي القيوم ؟ لماذا لا نقول : قل هو الله أحد ولا نقول قل هي الله أحد ؟ ثورة على الذات حتى قالوا فيما استحدثوه الجندر ، قالوا : إن المرأة اسمها حتى باللغة الإنكليزية غلط ، اسمها "woman " ، فقال إذا أزلت" man " من الأخير ، صارت "wo "، ليس لها معنى ، فحتى اسم "woman " في اللغة الإنكليزية ، يقول لك التاريخ تاريخ الرجال ، هيستيري ، هي ستوري ، نريد أن نغيرها هير ستوري ، التاريخ نفسه نريد أن نغيره ، شيء غير معقول لماذا ؟ لأنه وما اختلفتم بشيء حكمه إلى الله، لن يرجعوا إلى هذه المنهجية الثابتة ، وحدانية الخالق وزوجية المخلوق :

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49))

(سورة الذاريات)

المرأة جزء من كيان أسري تسعد به :

أوردت في الكتاب من كتب الغربيين من أمريكا ، من أوربا ، من اليابان ، من إحصاءات ، من دراسات ، ما يؤكد أن الجانب النفسي السيكولوجي ، والجانب البدني الفيزيولوجي ، والجانب الفكري التفكير ، هناك اختلافات ضخمة بين الرجل والمرأة ، التكوين الجسمي ، العقلي ، حتى مستوى الجرائم، الرجل عندما يقتل أحداً يأتي بسيف ، بمدفع ، بمسدس ، لكن المرأة تسقيه شاياً مسمماً ، شيء في هدوء تريحه وتخلص منه ، مستوى شكل الجرائم مختلف بين الرجل والمرأة ، الرجل عندما يكون عنيفاً والمرأة عنيفة يختلفون عن بعض ، 96.5 % من السكرتيريا في أمريكا على مدار عشر سنوات

كلهم نساء ، التمريض إلى آخره ، لماذا لا تُسَلِم وليس الذكر كالأنثى ؟ ثم رصدت في إطار الترسيخ ، قيل : إن المرأة ذكرت ستاً و عشرين مرة في القرآن الكريم ، قلت : لا هناك نص جلي المرأة بنت ، أم، أخت ، إلى آخره ، هناك تضمين جلي زوج ، ولد ، أيتام ، إلى آخره ، أكثر من 435 مرة ، النص الجلي ستمئة مرة ، التضمين الخفي هو الضمائر التي تعود على المرأة التي لا تصلح الجملة عربياً إلا بها ، أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ، و صدقت من ؟ الفاعل مريم ، خمس و سبعون مرة تذكر ضميراً ، و خمس و ثلاثون مرة تذكر نصاً ، عندما نجمعهم مع بعض شيء كثير .

قلت : إن المرأة بملاحظتها في القرآن الكريم لا تخرج أبداً عن كونها في داخل المحضن الأسري إما زوجة ، أو بنت ، أو أخت ، أو خالة ، هي جزء من كيان أسري تسعد به .

قال الدكتور ناصر العطار :" إن حضارة اليوم حرمت المرأة من أهم ما يمكن أن تسعد به ، أن يكون لها زوج ، وحرمت الرجل من أن يكون أسعد شيء له ، أن تكون له زوجة أو زوج ، هذا ما يجب أن نعود به إلى حقائق القرآن والسنة " .

الأستاذ ملهم :

دكتور صلاح بارك الله بك ، في مسألة المرأة البنت والزوجة وغير ذلك قالوا : إنك نصف المجتمع ، كلا بل نقول : إنك مجتمع بأسره ، شيخ محمد إن الغرب هو أول من أساء للمرأة ، وإن الإسلام هو أول من كرّم المرأة ، ماذا يريد الغرب من المرأة المسلمة ؟

ماذا يريد الغرب من المرأة المسلمة ؟

الشيخ محمد :

الناس في الغالب لا يتحركون إلا من أجل قضية تشغلهم ، وقد حاول الغرب في خبث ودهاء أن يجعل من المرأة قضية في بلاد الإسلام والمسلمين حيث لا قضية ، فهم خدعوا كثيراً من نسائنا وبناتنا بأن المرأة مظلومة ، وبأنها شق مهملة ، ورئة معطلة ، وبأن الزوج سجان قاهر ، وبأن البيت سجن مؤبد ، وأن الأمومة تكاثر حيواني ، في الوقت الذي نرى فيه المرأة تمتهن غاية الامتهان في بلاد الغرب ، ولا يتسع الوقت أبداً لتأصيل هذه الحقيقة ، لكني أود فقط أيها الأحبة أن أزين كلام أخواني بكلام ربنا وكلام نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأؤصل ما تفضل به الأساتذة الكرام ، أؤصل لهذا الكلام البديع البهيج الجميل بآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية في عجالة ، فأقول : لقد كرم الإسلام المرأة أماً ، وكرم الإسلام المرأة زوجاً ، وكرم الإسلام المرأة بنتاً ، ولو اقتصر الإسلام على تكريم المرأة حين تبلغ مرحلة الأمومة لكفى ، ولكنه لم يفعل ذلك كرمها أماً فقال تعالى :

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ (14))

(سورة لقمان)

((يا رسول الله ، مَنْ أحَقُّ الناس بِحُسْنِ صَحابتي ؟ قال : أمُّك ' ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : أمُّك ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : أمُّك ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : أبُوك . وفي رواية قال أمَّك ، ثم أمك ، ثم أباك))

[البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

وكرم الإسلام زوجاً ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم وأنا والله ما قرأت هذا الحديث مرة إلا وكاد عقلي أن يطيش ، أعجب في هذا المحفل الرباني الكريم ورسول الله يتكلم عن الأعراض والدماء ، ويتكلم عن حرمة الربا ، ويضع كل أمور الجاهلية تحت قدميه ، ومع ذلك لا ينسى في هذا الموقف العظيم المهيب أن يتكلم عن المرأة وأن يبين مكانة المرأة :

((اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ))

[مسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((استوصوا بالنساء خيراً))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

والأدلة في هذا الباب كثيرة .

علينا ألا نحكم على المنهج الرباني من خلال انحراف بعض الأزواج عن هذا المنهج :

أرجو ألا نحاكم المنهج الرباني والنبوي إذا أساء بعض الأزواج إلى أزواجهن ، لا يجوز أبداً أن نحكم على المنهج من خلال انحراف بعض الأزواج عن هذا المنهج الرباني ، بل وكرم الإسلام البنت صغيرة، فلقد ذكرنا أخي الدكتور عمر بحديث أمنا عائشة رضي الله عنها في الصحيحين :

((دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا ، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ))

[متفق عليه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]

وفي رواية : " كنّ له حجاباً من النار ".

و :

((من عال جاريتين ـ أي ابنتين ـ حتى تبلغا كنت أنا وهو في الجنة كهاتين))

[مسلم عَنْ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْه]

((أنا أول من يحرك باب الجنة فأرى امرأة تبادرني ـ أي تسابقني ـ تريد أن تدخل مع رسول الله الجنة فأقول لها : ويحك من أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتام لي))

[أبو يعلى بسند حسن]

الإسلام دين عظيم يحفظ للمرأة كرامتها و عفتها :

بل بكيت وأنا أطوف يوماً حول البيت الحرام حين سمعت المؤذن في المسجد الحرام يقول : الصلاة على الطفلة ، وإذا بالطواف يتوقف حول بيت الملك من أجل أن نصلي على طفلة ، فاستشعرت وقتها قيمة المرأة المسلمة حتى وهي في هذا السن المبكرة ، وأعجب أنا في ألمانيا دخلت علينا فتاة ألمانية لتعلن إسلامها ، وأنا عادة أسأل كل من دخل الدين ما الذي جاء بك إلينا وحالنا لا يسر عدواً ولا صديقاً؟ فأخبرتني هذه الفتاة الكريمة وقالت : أدخل اليوم الإسلام لأنه دين العفة ، قلت : لا أفهم ولا أستوعب مرادك ، فأخبرتني أنها كانت في زيارة لهولندا ، ورأت مجموعة كبيرة من الناس في ميدان عام يصرخون ويصفقون ، قالت : فاقتربت لأرى ما الخبر ، فأخبرتني أنها رأت رجلاً يفعل الفاحشة بامرأة أمام هذا الجمع الكبير ، في حفل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قالت : فاتصلت بأخت مسلمة في ألمانيا وقلت لها : يمكن أن تصنع المسلمة في الإسلام ذلك ؟ قالت : أعوذ بالله ، بل يحرم على المسلمة أن تنام في فراش الزوجية مع زوجها أمام طفل من أطفالها ، أو طفلة من أطفالها ، فقالت : دخل الإسلام قلبي وعلمت أن الإسلام دين العفة .

وفي أمريكا زوجت أختاً أمريكية لأخ مسلم مصري ، وبعد أسبوع طلبت أن أزورها ، فذهبت إليها وجلست المسلمة الأمريكية من وراء حجاب ،بعد سبعة أيام فقط من إسلامها لتسألني بعض الأسئلة ، فقلت لها : يا أم عمر وكنيتها بأم عمر ، ما شعورك الآن نحو الإسلام بعد سبعة أيام فقط ؟ والله يا أيها الأخوة في ترجمة حرفية قالت : يا شيخ محمد وددت أن أصرخ الآن بأعلى صوتي لأسمع كل امرأة أمريكية أنني أخيراً وجدت ديناً يحفظ للمرأة كرامتها .

يا حرة يا درة حُفظت بالأمس غـالية — واليوم يبغونـها للهو واللعب

يا حرة قد أرادوا جعله أمَـــة — غريبة العقل غريبة النســب

هل يستوي من رسول الله قائده — دوماً وآخر هاديـــه أبو لـهب

وأين من كانت الزهراء أسوتهــا — ممن تقفت خطا حمالة الحطب

فلا تبالي بما يلقون من شبـــه — وعندك الشرع إن تدعيه يستجب

سليه من أنا ؟ لمن أهلي؟ لمن نسبى — للغرب أم أنا للإسـلام والعرب؟

لمن ولائي ؟ لمن حبي ؟ لمن عملي؟ — لله أم لـــدعاة الإثم والكذب؟

هما سبيلان يا أختاه ما لهما من ثالث فاكســــبي خيرا أو اكتسبي

سبيل ربك والقرآن منهجـــــه نور من الله لم يحجب ولم يـغب

***

الأستاذ ملهم :

ما شعورك الآن نحو الإسلام بعد سبعة أيام فقط ؟ فقالت أم عمر الأمريكية التي ما عرفت الإسلام إلا من أسبوع واحد فقط قالت : يا شيخ محمد وددت أن أصرخ الآن بأعلى صوتي لأسمع كل امرأة أمريكية أنني أخيراً وجدت ديناً يحفظ للمرأة كرامتها .

يرددون هل صحيح أن الإسلام يظلم المرأة ويهدم حقوقها ؟

من ذكر الله أدى واجب العبودية و من ذكره الله منحه السكينة و الحكمة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، بادئ ذي بدء : الله عز وجل حينما قال :

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (45))

(سورة العنكبوت)

قال بعض علماء التفسير : ذكر الله أكبر ما في الصلاة ، لقوله تعالى :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

لكن عالماً جلياً قدم ملمحاً آخر ، قال : ذكر الله لك أيها المصلي أكبر من ذكرك له ، أنت إذا ذكرت الله عز وجل أديت واجب العبودية ، لكنه إذا ذكرك منحك الحكمة ، بالحكمة تسعد بأي زوجة ، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، بالحكمة تأتيك السكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، بالحكمة تكون راض عن الله ، وعن زوجتك ، وعن وضعك الداخل الاقتصادي ، بالحكمة ترضى ، بالحكمة تسعد ، بالحكمة تأتيك السكينة ، بالحكمة تأتي الحكمة في معاملة الزوجة .

النجاح في الحياة نجاح شمولي :

النقطة الدقيقة جداً أنا لا أتصور أبداً أن هناك نجاحاً جزئياً ، لا يكون النجاح نجاحاً إلا إذا كان شمولياً بمعنى ، هناك محطات في حياة المؤمن لأن الإسلام هو الحياة ، هناك نجاح مع الله وهو أصل كل نجاح ، أن تعرفه ، أن تعبده ، أن تتقرب إليه ، أن تحسن إلى خلقه ، هناك نجاح مع أهلك وأولادك ،

فإن لم تنجح لا يعد نجاحك نجاحاً ، نجاحك مع أهلك وأولادك ، لذلك إذا بني الزواج على طاعة الله تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، أما إذا بني على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بينهما .
إذاً محطة مع الله ، محطة مع أهلك وأولادك ، محطة مع عملك التي ترتزق منه، ومحطة مع صحتك، أي خلل في هذه المحطات الأربع ينسحب على بقية المحطات ، لذلك العناية في الزوجة ، قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]

حمد الله على أنه يحب زوجته .
شيء آخر ، حينما دخل مكة فاتحاً كما في بعض الآثار في السيرة أنه دعي إلى أن يبيت في بيوت قريش ، فقال لهم : انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة ، وركز لواء النصر أمام قبر خديجة ، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر هي شريكته في النصر .

معرفة الإنسان ربه تجعله إنساناً مثالياً :

لذلك أنا أرى أن أي إنسان في الأرض مفطور على حبّ وجود ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، سلامة وجوده في الاستقامة على أمر الله ، ما دام دخله حلالاً ، اختار امرأة صالحة ، ربى أولاده ، فهو معفى من الشقاء الزوجي ، من عقوق الأولاد ، من تدمير المال ، الآن وفطر على كمال وجوده وكمال وجوده بالعمل الصالح ، لذلك أعظم شيء بالزواج الإسلامي أن الله عز وجل بين الزوجين كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، إذاً مفطور على حبّ وجودك ، وسلامة وجودك ، وكمال وجودك ، أما استمرار وجودك بتربية أولادك .
عالم جليل في دمشق جار لي تزيد سنه عن تسعين عاماً ، دعاني مرة إلى طعام قال لي : عندي ثمانية وثلاثون حفيداً ، معظمهم من حفاظ كتاب الله ، وبعضهم أطباء ، تصورت أن هذه العلاقة بين الذكر والأنثى أنجبت أولاداً جلبوا بالكنائن الطيبات ، وأنجبت إناثاً جلبوا بالأزواج ، الصف الثاني ، الصف الثالث ثمانية وثلاثون حفيداً ، لذلك هذه الشهوة، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، بالإسلام لا يوجد حرمان ولكن هناك تنظيم ، وقال تعالى :

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

الشيء الطبيعي جداً أن يعرف الإنسان ربه فيكون زوجاً مثالياً ، وأباً مثالياً ، شيء طبيعي جداً أن تعرف المرأة حق زوجها لتكون زوجة مثالية :

((انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ـ يعدل الجهاد في سبيل الله ـ))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

والجهاد ذروة سنام الإسلام .

الأستاذ ملهم :

دكتور سعد في مسالة الدعاوى التي يتهم بها الإسلام دائماً ، في مسألة هل المرأة تابعة للرجل دائماً ؟

القضية بين المرأة والرجل قضية قديمة منذ آدم عليه السلام :

الدكتور سعد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، في البداية أود أن أقول : القضية بين المرأة والرجل هي قضية قديمة منذ آدم عليه السلام ، لأن الله عز وجل لما خلق آدم ثم خلقت حواء من ضلع آدم فبالتأكيد منذ ذلك التاريخ والصراع الفكري والفلسفي يدور بين الرجال والنساء في قضايا الرجل والمرأة ، أيضاً في عهد النبوة ، قامت النساء في عهد النبي عليه الصلاة والسلام واشتكين له ، وقلن : خطاب القرآن ينزل " يا أيها الذين آمنوا " ، أين يا أيتها المؤمنات ؟ فأنزل الله عز وجل :

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا(35))

(سورة الأحزاب)

إلى هذه الآية الكريمة التي سوى فيها بين النساء والرجال في الأحكام الشرعية ، بقي أن أقول : إن الإسلام يحرر النزاع في القضية ، لا بد من تحرير النزاع في هذه القضية ، وتحرير النزاع في هذه القضية هو التفرقة بين قضيتين ؛ الذكورة والأنوثة ، وبين قضية الإنسان رجلاً أو امرأة ، إن كان الإنسان رجلاً أو امرأة فهو خليفة الله في الأرض ، هو خطاب مساو ، كما أن الله كلف الرجل كلف المرأة ، فللنساء مثل ما للرجال ، والنساء كما ورد في الحديث الصحيح :

((إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ))

[سنن الترمذي عن عائشة]

(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ (32))

(سورة النساء)

كما ورد بحق الرجال في الميراث :

(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (7))

(سورة النساء)

تعظيم الإسلام حق المرأة كما يُعظم حق الرجل :

إذاً : الرجل والمرأة إن نظرنا إليهما بصفتهما إنساناً فهما على درجة سواء ، وما من دين إلا وأعطى للمرأة هذا الحق ، إن نظرنا إلى الممارسات العملية ووجدنا في أوربا في العصور الوسطى يوم أن كان الرجل يرث المرأة وهي حية ، يمنعها من التصرف في مالها لمجرد زواجها ، هو وصي عليها ، وليست لها أدنى كلمة ، كان الإسلام ولا يزال يعطي للمرأة هذا القدر الكبير من الاحترام ، ومن المساواة المطلقة مع الرجل في حكم قضية التكليف ، أو قضية الاستخلاف في الأرض ، أما إن نظرنا إلى المرأة بصفة هويتها ، أو الرجل بصفته ذكراً ، فهذه فتنة ، هنا تأتي الشرائع السماوية من أجل الحيلولة دون وقوع فتنة ، الحيلولة من دون اعتداء أحد على الآخر ، فجاء حكم الحجاب ، جاء حكم منع الخلوة ، جاءت الأحكام الشرعية التي وردت في الديانات المساوية السابقة ، وجاء الإسلام بكمالها، وختمها بخاتم الكمال والتمام إلى يوم الدين ، من أجل فض هذه الخصومة التي يمكن أن تحدث ، فكانت الأحكام الشرعية الواردة إنما هي فارقة بين الذكر والأنثى في حال إيقاع الفتنة ، أو خشية إيقاع العداوة بين الطرفين ، أما إن نظرنا إليهما بصفتهما إنساناً فإن الحق متساو بين الرجل والمرأة ، والإسلام يعظم حق المرأة كما يعظم حق الرجل ، ولا أنسى أن النبي عليه الصلاة والسلام في لحظات موته وهو يودع الدنيا يوصي البشرية إلى يوم الدين ، اتقوا الله في الضعيفين في المرأة والإماء والعبيد ، حسبنا هذه الوصية فلو أن رجلاً مسلماً مهما كانت درجة إسلامه تحتية يستمع إلى كلمة النبي عليه الصلاة والسلام، ووصيته ، يهتز لها ، ويشعر أن نبينا خاتم الأنبياء و سيد البشر يوصي بالمرأة خيراً ، معنى هذه الوصية أنها تحية إلى النساء وأيضاً تكليف للرجال ، فإن الله كلف الرجال أن يحموا النساء ، وكانت هذه وصية النبي عليه الصلاة والسلام ، حتى بالرحمة وهم يسيرون رفقاً بالقوارير ، المرأة أمانة في رقبة الرجل ، على الرجل أن يحميها ، على الرجل أن يرعاها ، على الرجل أن يمكن لها ، على الرجل أن يعطيها حقوقها ، فإن ظلمها بالميراث ، وإن ظلمها في التعامل ، فهو سلوك عرفي خاطئ ، بعيد كل البعد عن الشريعة الإسلامية ، التي جاءت تحفظ للمرأة حقها .

الأستاذ ملهم :

بارك الله دكتور سعد ، ننتقل من جزئية إلى جزئية ، ولكن في نهاية هذه الجزئية الشيخ أمين شبهة ، سؤال يتردد هل الحجاب لا يتناسب مع الحياة العصرية ؟

الحجاب عفة و طهارة :

الشيخ أمين :

بسم الله الرحمن الرحيم ، مسألة الحجاب مسألة عفة ، وطهارة ، ومسألة حفاظ ، وحماية ، ليس لها أي دخل بمسألة العصرية أو عدمها ، فالعصرية يمكن أن يكون إنسان مفكر ، إنسان بلغ الذروة في علوم الدنيا ؛ هندسة ، طب ، لكنه لا يستطيع أن يحافظ على أخلاقه ، ولا يستطيع أن يحمي نفسه من هواه ، أو شهوته ، فالمرأة مهما كانت مفكرة ، متعلمة ، هذه المسألة تساوت فيها كل النساء إذا تتبعت أسباب الدنيا ، أما الحجاب فالحجاب عفة وطهارة ، عبادة لله تعالى ، حفاظ لنفسها ، لذلك صدق أحد العلماء حينما قال : " إن فتنة المرأة ليست في شيء إلا في جنسها ، في جنس أنها امرأة ، في أنها من جنس النساء ".

المرأة فتنتها أساساً في جنسها أنها امرأة ، وعندما ننظر إلى الحجاب نرى أن كما أمرت المرأة بالحجاب أمر الرجل بغض البصر ، أي كما أمرت المرأة بالحجاب لتحافظ على نفسها من نظرات الرجال ، الرجل أمر أن يغض بصره إذا عرض لامرأة غير محجبة ، المرأة إذا تبرجت هي تتسول نظرات محرمة ، وكلمات الثناء من الرجال ، فإذا كان الرجل غاضاً لبصره ، كاف لأذاه ، لا ينصرف قلبه لغير امرأته ، ولغير الحلال، فإن المرأة ستكتفي بأن تجلس في بيتها ، أو تتحجب إذا خرجت ، ولا أريد أن أطيل أكثر من ذلك.

الله عز وجل ينصح المرأة في أن تمنع فتنتها وتظهر جمالها للآخرين من أجل حمايتها :

الدكتور سعد :

أريد أن أقول في قوله الله عز وجل :

(ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59))

(سورة الأحزاب)

أن الله عز وجل ينصح المرأة في أن تمنع فتنتها وتظهر جمالها للآخرين من أجل حمايتها ، هو في هذا الحكم يحمي المرأة ويجملها ، وإذا سألت المحجبات ، سألت الذين يعطون الآراء في الجمال ، في

الأزياء والشكل ، فإنهم سيحكمون أن المرأة المحجبة أجمل بكثير من المرأة المتبرجة التي تخرج سافرة، إن زينة المرأة في ثيابها ، انظر إلى الرجال كيف يلبسون مع أن الله عز وجل جعل عورة الرجل من السرة إلى الركبة ، إلا أن الرجال يحفظون من عوراتهم أو ما يزيد من هذه العورات أسوة وسترة لأنفسهم من باب الزينة والجمال ، فما بالك بالمرأة فإن الإسلام جعل لها هذا الحجاب زينة لها .

الأستاذ ملهم :

بارك الله دكتور سعد .

الدكتور راتب :

إما أن تكون محجبة أو محجوبة عن الله .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرحمة - ندوات مختلفة - ندوة (3) : مجلس الرحمة ، أسلوب وخصائص الدعوة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-12-2012

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:

أستاذنا الجليل في موضوع مهم جداً ، موضوع الدعوة إلى الله في ظل الصراعات الموجودة الآن، وفي ظل الكلام الذي يقال من هنا وهناك، وفي ظل الأساليب المختلفة من بعض الدعاة ، من بعض الخطباء، من بعض المتحدثين ، الكل بلا استثناء ، الكل له وعليه ، نحتاج الآن إلى أن نضبط كلامنا ، نحتاج من حضرتك في هذا اللقاء المبارك أن تبين لنا في البداية أفضلية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

أفضلية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

الحقيقة الدقيقة : أن فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه ، فإذا قال الله في كتابه الكريم :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

[سورة فصلت الآية : 33]

أي كأن الآية تقول : ليس على وجه الأرض إنسان أفضل عند الله :

(مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق، وحبيب الحق ، وسيد ولد آدم ، وحبيب الله ، قال الله عز وجل :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)

[سورة الأحزاب الآية : 45]

ولكن هذا النبي الكريم قمة المجتمع النبوي ، قمة البشر ، بلغ سدرة المنتهى ، عصمه الله من أن يخطئ بأقواله ، وأفعاله ، وإقراره ، هذا النبي الكريم من أجمل الخلق ، حبيب الحق ، سيد ولد آدم ، ومع كل هذه الخصائص ، ومع كل هذه الصفات ، ومع كل هذا التفوق ، الله عز وجل يقول له : أنت ، أنت ، أنت يا محمد :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[سورة آل عمران الآية : 159]

يخاطب قمة المجتمع البشري ، يخاطب سيد الخلق وحبيب الحق ، وسيد ولد آدم أنت بالذات :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

فكيف بإنسان ليس نبياً ، ولا رسولاً ، ولا يوحى إليه ، ولا معصوماً ، ولا ، ولا ، وفي دعوته غلظة ! كيف ؟ أرسل موسى ، هو نبي من أولي العزم :

(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً)

[سورة طه الآية : 43]

فإذا كان نبي كريم من أولي العزم كلفه الله أن يخاطب فرعون خطاباً رقيقاً فكيف بداعية يغلظ في كلامه ويتهم ويصنف ويكفر ويشرك ؟

(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً)

لأن الله سبحانه وتعالى هو خالقنا ، هو الذي أبدعنا ، وخلقنا ، ونحن في قبضته ، ومع ذلك ما أراد أن تكون علاقتنا به علاقة إكراه ، قال :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

[سورة البقرة الآية : 226]

نحن في قبضته ، حياتنا بيده ، موتنا بيده ، تفوقنا بيده ، رزقنا بيده ، نحن في قبضته ومع كل ذلك ما أراد أن تكون العلاقة به علاقة إكراه ، بل علاقة حب ، قال :

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

[سورة المائدة الآية : 54]

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

[سورة البقرة الآية : 165]

فكأن الله أراد جل جلاله أن تكون علاقة عباده به علاقة حب ، ولو أرادها على خلاف ذلك :

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً)

[سورة يونس الآية : 99]

هذا الإيمان القسري لا يسعدنا ، لأنه لا يقربنا إلى الله ، أما الإيمان الطوعي فهو الذي يرقى بنا إلى الله عز وجل ، لذلك أساس العلاقة التي أرادها الله بينه وبين عباده هي علاقة حب .

الدين الإسلامي دين توقيفي :

الشيء الدقيق الثاني : الآن هذا الدين دين توقيفي ، معنى توقيفي لا يضاف عليه ولا يحذف منه ، هذا الدين لا يمكن أن نحدث فيه ما ليس منه ، ممكن أن نطور الخطاب الديني أما كدين ، كنصوص ، كآيات ، كأحاديث ثابتة ، لا يضاف عليها ، ولا يحذف منها ، لذلك هذا الذي يقول تجديد في الدين ، أنا أقول: الدين لا يجدد ، لكن الخطاب الديني يجدد ، الفرق بين الدين وبين الخطاب الديني أني قد أقنع الناس بدليل علمي ، بدليل اجتماعي ، بدليل نفسي ، برواية صحيحة ، بأشياء كثيرة ، أنا يمكن أن أجدد في الخطاب الديني ، أما الدين فلا يجدد .

مثلاً : أنا لا أستطيع أن أضيف غرفة ببناء وأسميه مجدداً ، البناء ثابت ، ممكن أن أطليه طلاء جميلاً ، ممكن أن أقدمه بتصوير رائع ، هذا الذي أفعله .

إذاً نحن نطور ونجدد الخطاب الديني ، الآن الفكرة الدقيقة: هذا الخطاب الديني إذا نجح قبله المسلم ، وغير المسلم ، فإن لم ينجح رفضه المسلم ، فكأن المشكلة الكبرى في الخطاب الديني .

مرة هكذا سمعت أن إنساناً فرنسياً دخل في الإسلام .

المذيع:

وأنا أرجو أن ينتبه الكل لكلام أستاذنا الجليل ، ومشايخنا ، وعلمائنا ، ودعاتنا، وطلبة العلم ، ينتبهوا إلى هذا الكلام أنت حضرتك ترسل رسائل مهمة جداً ، قبل أن نستمتع إلى علماء الغرب في الجزئية ونؤكد عليها مرة أخرى ، سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام هو من هو؟ الذي زكاه ربه في كل شيء ، برغم ذلك الله تبارك وتعالى يقول له :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

الدكتور راتب:

إنسان فرنسي أسلم والتقى بشيخ من الشيوخ المعاصرين أبقاه في أحكام المياه ستة أشهر ، فخرج من الدين ، التقى بعالم جليل أظنه الشيخ محمد عبدو ، قال له : الماء الذي تشربه توضأ منه ، ألغى له ستة أشهر تدريس .

الإسلام منهج كامل :

أنا أرى أن العصر له طبيعة خاصة ، يحتاج إلى تبسيط ، يحتاج إلى عقلنة ، يحتاج إلى تطبيق ، فالذي يبسط الدين ، والذي يعقلنه ، أي يعطيه تفسيراً عقلياً ، فالإنسان عقل ، فما الإنسان ؟ هو عقل يدرك ،

وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، فالعقل له غذاء هو العلم ، والقلب له غذاء هو الحب ، والجسم له غذاء هو الطعام والشراب ، فحينما أغذي بدعوتي عقول الناس وقلوبهم.

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

خاطب قلبه .

(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)

[سورة الانفطار الآيات : 5 - 6]



خاطب عقله ، فلابد في الدعوة من أن تتوجه إلى عقل الإنسان تارة فتغذيها بالعلم ، وإلى قلب الإنسان تارةً أخرى فتغذيها بالحب، والحب الذي أقصده أن تحب الحقيقة ، أن تحب الله، أن تحب العمل الصالح ، هذا الحب الذي يرقى بنا ، هناك حب لا يرقى بنا ، لكن هذا الحب يرقى بنا فأنا لا ألغي قلب الإنسان أخاطب قلبه ، ولا ألغي عقله أخاطب عقله ، ولا ألغي دنياه ، فحينما ألغينا الدين جاء العلمانيون وثاروا على الدين .

أنا أقول دائماً : النبي الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم جاء بالمنهج الكامل ، كمال مطلق فلما ركز العلماء بعده على الفقه فقط وأهملوا التزكية التي أرادها الله عز وجل :

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

[سورة الشمس الآية : 9]

جاء الصوفيون وأكدوا على التزكية ، فلما شطحوا وتجاوزا الحدود ، جاء السلفيون فأكدوا على الكتاب والسنة ، فلما أهمل الدين جاء العلمانيون فأكدوا على الدنيا ، فالإسلام منهج كامل .

النبي الكريم معصوم بمفرده بينما أمته معصومة بمجموعها :

النبي عليه أتم الصلاة والتسليم جاء بالمنهج الكامل الكمال المطلق ، لأنه نحن مكلفون أن نأخذ منه ، فلو كان في منهجه خطأ فكأن الله أمرنا بالخطأ فقد عصمه، عفواً : أمته معصومة بمجموعها لكنه صلى الله عليه وسلم معصوم بمفرده ، فرق كبير ، الأمة معصومة بمجموعها ، بمعنى :

((لا تجتمع أمتي على ضلالة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والإمام أحمد عن أبي بصرة الغفاري]

يصدر كتاب فيه انحراف، يقوم عليه الناس ، تثور عليه الأمة ، هذا يسمونه إجماعاً سكوتياً ، إذا ألف كتاب لا يوجد عليه ولا مشكلة ، الناس ساكتون ، هذا إجماع سكوتي على صوابه ، أما إذا في خطأ فهناك من يرفع صوته ويدافع على الصواب .

فلذلك النبي الكريم معصوم بمفرده ، من أن يخطئ في أقواله ، وأفعاله ، وإقراره، لكن أمته معصومة بمجموعها ، هذا من فضل الله علينا ، الآن أي دعوة فيها انحراف هناك من ينتقدها ، هناك من يبين خطأها ، هناك ، هناك ، هذا شيء واضح بالتاريخ الإسلامي ، فلذلك النبي الكريم معصوم بمفرده ، والأمة معصومة بمجموعها ، لذلك أمرنا الله أن نتبعه .

إذاً الدين في الأصل في صواب مطلق ، بعده جاء علماء أكدوا على الفقه فقط والفقه أساسي ليس هو الدين كله ، هو جزء من الدين ، فلما أكدوا على الفقه وحده ، وأهملوا التزكية ، والإخلاص ، والاتصال بالله ، هنا مشكلة.

لذلك قال بعضهم : كان التصوف في عهد النبي مسمى بلا اسم ، كان هناك إخلاص كان هناك تزكية ، كان هناك اتصال بالله ، كان هناك صلاة صحيحة ، فصار اسماً بلا مسمى ، كان مسمى بلا اسم ، فصار اسماً بلا مسمى .

الدين الإسلامي دين وسطي :

لذلك النبي جاء بالمنهج الكامل ، وأنا لا أقول دين وسطي ، الدين دين ، أما نحن فاخترعنا هذه التسمية ، لأنه صار هناك تطرف ، فأردنا أن نميز الدين الصحيح عن التطرف بكلمة وسطي ، فجاء بعده الفقهاء أكدوا على الأحكام الفقهية على حساب التزكية ، فجاء الصوفيون أكدوا على التزكية ، الاستقامة، الإخلاص ، الصلة بالله، الارتباط بالله ..إلخ فلما أهملوا جميعاً دنياهم جاء العلمانيون وأكدوا على الدنيا ، الصواب أن نطبق منهج النبي تطبيقاً كاملاً، هذا منهج من عند الله ، لا يضاف عليه ولا يحذف منه ، لكن نحن وفق التطورات الحديثة ممكن أن نصور الخطاب

الديني ، أحياناً يكون الخطاب بجامع يسمعه خمسة آلاف ، أما الآن بالانترنيت فيسمعه مليون ، فهناك تطوير بالخطاب الديني ، وهذا يغطى بقوله تعالى :

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ)

[سورة الفرقان الآية : 31]

هناك آية دقيقة جداً أنها وفق المنهج الشائع لا أذكرها الآن.

إذاً : نحن أمام منهج كامل ، يجب أن نطبقه ، وأن نعطيه تفسيراً عقلياً كي يقترب من الناس ، وأن فضلاً عن ذلك أن نحسن إلى من نخاطب ، هذا بعض ما يمكن أن نقوله في هذا الموضوع .

المذيع:

نريد أن ننتقل إلى الدعوة إلى الله أنها فرض عين ، ولكن أنا أريد أن أنتقل مع حضرتك إلى أسلوب الدعوة بعد كلام حضرتك المهم جداً ، من أجل أن نأخذ الدروس والعظات من الدين ، من الأصل ، القرآن الكريم والسنة النبوية .

أسلوب الدعوة إلى الله :


الناس يتعلمون بعيونهم

الدكتور راتب:

أولاً : الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم ، ألق على ابنك مئة محاضرة في الصدق لا سمح الله ولا قدر فلو رأى هذا الابن أباه يكذب في مكان المئة محاضرة سقطت ، وهذا شيء خطير جداً ، الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم ، أحياناً الأم تلقي على ابنتها محاضرات في الصدق تخرج إلى بيت الجيران ، يأتي الزوج تقول له : ما خرجنا من البيت أمام البنت ، فالبنت رأت أمها تكذب على أبيها ، فالمحاضرات النظرية لا قيمة لها .

فلذلك أول نقطة : الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم ، ويكفي أن تكون مستقيماً فصدقك دعوة ، يكفي أن تكون أميناً الأمانة دعوة ، يكفي أن تكون متواضعاً التواضع دعوة، يكفي أن تكون مخلصاً الإخلاص دعوة ، المؤمن لو لم ينطق بكلمة استقامته وكمالاته هي دعوة، من هنا أنا خطر في بالي مصطلح جديد: الدعوة الصامتة ، دعوة صامتة ، تعامل إنساناً صادقاً، أميناً ، متواضعاً ، صدقه وأمانته تجذبك إليه ، هذه دعوة ، فالأخلاق دعوة .

لذلك لما النجاشي سأل سيدنا جعفر حدثني عن الإسلام ؟ قال:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لتوحيده ، ولنعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

العبادة نوعان تعاملية و شعائرية :

لذلك أنا أقول : هناك عبادة شعائرية ، وهناك عبادة تعاملية ، وأنا أؤمن أن العبادة الشعائرية لا تقطف ثمارها إطلاقاً إلا إذا صحت العبادة التعاملية ، بمعنى : الإنسان إذا صلى ولم يكن مستقيماً.

((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بيضاً فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً قَالَ ثَوْبَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

[أخرجه ابن ماجه عن ثوبان بن بجدد]

من الذي يقصر ؟ من هو الفقير ؟ من لا متاع له .

((ما المُفْلِسُ ؟ قالوا : المفْلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع. قال : إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شَتَمَ هذا ، وقذفَ هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه ، أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه ، ثم يُطرَحُ في النار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

معنى ذلك العبادة التعاملية أصل في هذا الدين العظيم ، والعبادة الشعائرية لا تقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادة التعاملية .

فلذلك الإنسان عندما يؤدي العبادات الشعائرية وليس مستقيماً لن يستطيع قطف ثمارها، لذلك أكل لقمة من حرام تبعدنا عن الله عز وجل .

فأنا أتمنى أن أدقق في العبادة التعاملية ، لأنها أصل في الدين ، العبادة التعاملية والشعائرية يتكاملان ، فلابد من طاعة الله ، من الوقوف عند الحرام ، من كسب الحلال ، من تربية الأولاد ، فالإنسان حريص على أشياء دقيقة ، حريص على سلامة وجوده ، وكمال وجوده، واستمرار وجوده ، السبعة مليارات

في الأرض هذه خصيصة لكل إنسان ، حريص على سلامة وجوده ، وكمال وجوده ، واستمرار وجوده، سلامة وجوده باستقامته على أمر الله ، سلامة وجوده يقول لك : أنا ما أكلت مالاً حراماً ، ما اغتبت ، ما فعلت كذا ، أكثر كلمات الاستقامة فيها ما ، أما السعادة ففيها عطاء ، أنا قدمت ، أنفقت ، رأبت الصدع ، وفقت بين زوجين ، أطعمت يتيماً ، العمل الصالح يرقى بالإنسان ، والاستقامة تسلمه من العقاب الإلهي ، فأنت بالاستقامة تسلم، وبالعمل الصالح ترقى ، لكنك أنت أيها الإنسان مفطور على حب وجودك ، على حب سلامة وجودك ، وعلى حب كمال وجودك ، وعلى حب استمرار وجودك ، استمرار الوجود تربية الأولاد .

أنا كنت بأمريكا مرة وقلت لهم : من بلغ منصباً ككلينتون ، كان كلينتون وقتها الزوج وليس الزوجة ، وثروة كأونسيس ، وعلماً كأينشتاين ، ولم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس .

الحقيقة الدقيقة : الكلمة القرآنية قرة العين لا يعرفها إلا من ذاقها ، لك ابن صالح، مؤمن ، مستقيم ، تسعد سعادة فوق التصور إذا كان ابنك صالحاً .

المذيع:

ما شاء الله ! ربنا يكرمك دكتور محمد ، أنتقل لأسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

من أسلوب الدعوة إلى الله الحكمة و الموعظة الحسنة :

الدكتور راتب:

أنا أقول : الداعية الآن يجب أن يكون إسلاماً يمشي .

((من عامل الناس فلم يظلمهم ، فحدثهم فلم يظلمهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهم ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته))

[مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب]

هناك من يقول : إذا ذكرت كلمة مثالية يسخر منها ، بالإسلام يوجد مثالية واقعية ، مثالية وقعت وطبقت، هذا كلام غير صحيح ، لكن دائماً الإنسان يعبر عمن حوله ، أما لو قرأنا تاريخ الصحابة الكرام ، مثالية واقعية ، يقال : هذا يعيش ببرج عاجي ، هناك برج عاجي أخلاقي ، هذا الإنسان لم يغص في وحل البشر ، ليس مع البشر في سقطاتهم ، وانحرافاتهم، ومعاصيهم ، وآثامهم ، لكنه معهم بعقولهم ، هناك برج عاجي فكري ، البرج العاجي الفكري مذموم أن تبتعد عن مشكلات الناس ، أما البرج العاجي الأخلاقي فمطلوب ، والفرق كبير بين برج عاجي فكري وبرج عاجي أخلاقي ، المؤمن له برجه العاجي الأخلاقي لكنه بعيد عن برجه العاجي الفكري .

المذيع:

نحتاج إلى الانتقال إلى خصائص الدعوة حتى تتم الفائدة.

الدعوة إلى الله فرض عين و فرض كفاية :

الدكتور راتب:

لكن النقطة الدقيقة قال تعالى :

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

[سورة العصر الآيات: 1 - 3]

معنى الدعوة إلى الله أحد أركان النجاة ، لذلك هناك من يتوهم أنها فرض كفاية ، أنا أؤكد ومعي الدليل أنها فرض عين ، والدليل هذه الآية :

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

إذاً الدعوة إلى الله تعني التواصي بالحق و هذا أحد أركان النجاة .

شيء ثان :

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

[سورة يوسف الآية : 108]

فالذي لا يدعو إلى الله ليس متبعاً لرسول الله ، هذان الدليلان على أن الدعوة إلى الله فرض عين لكن في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف ، إنسان له أخ ، له صديق ، له جار ، له أهل الزوجة ، في سهرة تكلم ، استمعت الجمعة إلى خطبة أعجبتك ، وتأثرت بها ، دعيت بعد يومين إلى طعام عند بيت أقاربك بلغهم .

((بلِّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هذه الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم لكن في حدود ما يعلم ، ومع من يعرف أما التبحر في الدين ، والتعمق ، والتفرغ فهذا فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الكل .

المذيع:

ننتقل إلى خصائص الدعوة .

خصائص الدعوة إلى الله :

1 ـ معرفة الآمر قبل الأمر :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم ، الخصيصة الأولى : الآمر قبل الأمر ، أي معرفة الآمر قبل معرفة الأمر ، لأنك إذا عرفت الآمر وهو الله ، عرفت كماله ، عرفت وحدانيته ، عرفت أسماءه الحسنى ، صفاته الفضلى ، إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر .

أحياناً تأتي رسالة إلى مواطن : تعال غداً الساعة العاشرة إلى دائرة البريد تسلم رسالة مسجلة ، لا تتحرك شعرة في جسمه ، وقد لا يذهب ، لكن يأتيه أحياناً من جهة قوية تعال غداً الساعة العاشرة ، لا ينام الليل ، لماذا في الحالة الأولى لم يعبأ وفي الثانية لم ينم ؟ الآمر الثاني أقوى ، قد يدخل ولا يخرج ، فأنت حينما تعرف من هو الآمر تتفانى في طاعته ، وكأنني أضع يدي على مشكلة المسلمين الأولى ، الأمر بين أيديهم ، درسوه في التعليم الابتدائي ، والإعدادي ، والثانوي ، إن عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، أما إن عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في معصيته في فتاوى ضعيفة ، فتاوى شاذة ، ماذا نفعل ؟ هذا الوضع هكذا ، الوضع صعب ، هكذا العصر ، فلذلك الأصل أن تعرف الآمر أولاً .


لا تنظر إلى حجم الذنب لكن انظر على من اجترأت

لذلك قال سيدنا علي : " أصل الدين معرفته ، لا تنظر إلى صغر الذنب ، ولكن انظر على من اجترأت "

إن عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، المشكلة ضعف معرفة الآمر، لذلك أكثر مناهج التربية الدينية التعريف بالآمر ، أن تعرف الله من خلال الكون ، من خلال آياته الكونية ، آياته التكوينية ، آياته القرآنية .

المذيع:

اذكر لنا مثالاً أستاذنا الجليل.

الدكتور راتب:

مثلاً : حينما صعد رائد الفضاء إلى الفضاء وتجاوز طبقة الهواء صاح بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً ، ما الذي حدث ؟ في الأرض حالة اسمها انتشار الضوء ، فحينما تسلط أشعة الشمس على ذرات الهواء هناك ذرات تعكسها إلى ذرات أخرى ، ففي النهار في أي مكان في الأرض مكان فيه أشعة شمس ، و مكان فيه ضوء شمس ، الضوء واضح والأشعة في بعض الأماكن ، بحسب اتجاه البيت ، لكن حينما وصل رائد الفضاء إلى مكان لا يوجد فيه هواء لم يعد هناك انتشار للضوء فصار في ظلام دامس ، فقال رائد الفضاء بأول مركبة فضائية : لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً ، نفتح القرآن فنقرأ قوله تعالى:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر الآية : 14 - 15]

لماذا ؟ لأنه حينما يرسل الله نبياً إلى أمة ما لا بد من أن يشهد لهم أنه نبيه ورسوله كيف ؟ يجري على يديه حالات يعجز عنها البشر ، هذه معجزات ، الأنبياء السابقون معجزاتهم حسية ، ضرب البحر سيدنا موسى فأصبح طريقاً يبساً ، ألقي بالنار سيدنا إبراهيم لم تحرقه، فجميع معجزات الأنبياء السابقين معجزة حسية ، لأنها لقومهم وحدهم ، فلما كان النبي لكل البشر جميعاً ، ولآخر الزمان ، وخاتم الأنبياء، ولا نبي بعده ، لابد من أن تكون معجزته مستمرة معه ولن تكون مستمرة إن كانت حسية ، لابد من أن تكون علمية ، ففي القرآن الكريم ألف وثلاثمئة آية فيها إشارات إلى قوانين ، القوانين الآن كشفت ، هذا الذي يؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن ، هذه المعجزة . والشيء الدقيق الذي قد يعجب الإنسان منه النبي الكريم بأي موضوع عبادي له مئات الأحاديث ، إلا في الآيات الكونية ولا حديث ، إما بوحي من الله ، أو باجتهاد منه ، لأنه لو فسر هذه الآيات تفسيراً مبسطاً يفهمه الصحابة لأنكرنا عليه ، ولو فسرها تفسيراً حقيقياً كما هي عليه الآن لأنكر عليه أصحابه، شيء عجيب ، ولا حديث يشير لآية كونية ، فكأنها تركت للعصر لتكون هذه الآيات شهادة الله للخلق أن هذا القرآن كلامه ، وأمثلة كثيرة جداً، مثلاً : بعد تطور علم الأجنة تبين أن الذي يحدد نوع الجنين - ذكر أو أنثى - النطفة لا البويضة، قال :

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى)

[سورة النجم الآية : 45 - 46]

هناك أشياء دقيقة في الإعجاز العلمي مثلاً : بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية فقط ، ابنك الصغير بدقائق بآلة حاسبة يحسب المسافة ، أربع سنوات ضوئية الضوء يقطع في الثانية

الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر ، في الدقيقة ضرب ستين ، في الساعة ضرب ستين ، في اليوم ضرب أربع وعشرين ، في السنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ، بأربع سنوات ضرب أربع ، لو ركبت مركبة لهذا النجم الذي هو أقرب نجم ملتهب إلى الأرض تحتاج إلى خمسين مليون عام ، مركبة أرضية تحتاج إلى خمسين مليون عام لتقطع أربع سنوات ضوئية، متى أصل لنجم القطب الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية ؟ متى أصل للمرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية ؟ متى أصل إلى أحدث مجرة تبعد عنا أربعة وعشرين ألف مليون سنة ضوئية ؟ والأربع سنوات ضوئية تحتاج إلى خمسين مليون عام أن نقود السيارة ، الله ماذا قال ؟

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)

[سورة الواقعة الآية : 75]

بالمسافات بين النجوم .

(وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية : 76]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، هذا الإله العظيم يعصى ؟ ألا يطلب وده ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟ في بالقرآن سيدي ألف وثلاثمئة آية كونية ، وكل آية هي شاهد قطعي الدلالة على أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن ، والأمثلة كثيرة جداً ، معرفة الآمر قبل الأمر ، أول نقطة إذا عرفت الآمر قبل الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت بالتفلت من الأمر هذه واحدة .

2 ـ القدوة قبل الدعوة :


القدوة قبل الدعوة

الثانية : القدوة قبل الدعوة ، العالم لا يصدقون الداعية .

مريض ذهب إلى عند طبيب ، لا يهمه إذا كان طبيباً مستقيماً أو غير مستقيم ، لا يهمه ، يهمه علمه ، أما حينما يكون الداعية غير مستقيم فهناك إشكال كبير جداً .

فلذلك القدوة قبل الدعوة ، قبل أن تنطق بالحق هل أنت وفق هذا الذي تقوله ؟

أما تستحي منا ويكفيك ما جرى؟

* * *

أن تقول شيئاً للناس وأنت لست مطبقاً له فلذلك كما قال بعض العارفين:

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنا منحنا بالرضا من أحـــبنا

ولذ بحمانا و احتمِ بجنابنـــا لنحميك مما فيه من أشرار خلقنا

و عن ذكرنا لا يشغلنك شاغل وأخلص لنا تلقى المسرة والهنا

* * *

وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن فـما القرب و الإبعاد إلا بأمرنا

فيا خجلي منه إذا هو قال لي أيا عبدنا أما قرأت كتابنـــا

أما تستحي منا ويكفيك ما جرى أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا

* * *

أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما جاء به وعدنـــا

فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنـا

* * *

ولو سمعت أذناك حسن خطاب نا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنـا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنـــا

* * *

فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلتنـــا

فأيسر ما في الحب بالصب قتله وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

* * *

فلذلك القدوة قبل الدعوة ، قبل أن أنطق بالحق ينبغي أن أكون عند كلامي ، أدعو الناس إلى الصبر أصبر ، إلى الإنفاق أنفق ، فالقدوة قبل الدعوة ، والناس يتعلمون كما قلت بعيونهم لا بآذانهم .

3 ـ الإحسان قبل البيان :

هناك شيء آخر : الإحسان قبل البيان ، أنت ينبغي أن تفتح قلوب الناس بإحسانك ليفتحوا عقولهم لبيانك، أنت لو أنك تدعو إلى الله ، أنت عندك أخ فقير أعنته على عمل ، على تأمين عمل ، أعنته على

تزويج ابنته ، أنت أحسنت له ، الآن يصغي لك ، أنا أقول : الداعية يجب أن يكون مرشداً ، أباً ، موجهاً، مربياً ، فأنت حينما تهتم بشؤون الناس ثم تنطق بالحق يتلقفون منك بأذن واعية ، أما إذا أنت فصيحاً متكلماً ، خطيباً مشهوراً ، لا يعنيك أمر الناس إطلاقاً ، فقط يعنيك أن تنتزع إعجابهم إذا ألقيت كلاماً عندئذٍ قد لا تؤثر ، أنا أرى الحقيقة القدوة قبل الدعوة ، لا يوجد شيء دعا به النبي إلا كان مطبقاً له ، ولا شيء نهى عنه إلا كان أول تارك له ، فالقدوة قبل الدعوة ، هذه أخاطب بها الأب ، والأم ، والمعلم ، ومدير الدائرة ، وأي منصب قيادة ولو على اثنين ، تطبق يسمع إليك ، لا تطبق يستهزأ بك ، هذه الحقيقة ، أب ، أم ، معلم ، رئيس دائرة ، من أقل وظيفة إلى أكبر وظيفة .

الإحسان قبل البيان

المذيع:

معرفة الآمر قبل الأمر ، القدوة قبل الدعوة ، الإحسان قبل البيان .

الدكتور راتب:

تفتح قلوب الناس بإحسانك ليفتحوا لك عقولهم لبيانك .

4 ـ الترغيب قبل الترهيب :

الآن الترغيب قبل الترهيب ، لو فرضنا أن أباً قال لابنه الذي لم يصلِّ سأضربك أو قال للذي يصلي سأكافئك ، فرق كبير بينهما ، الترغيب قبل الترهيب ، فاعتمد على الترغيب لا على الترهيب .

الترغيب قبل الترهيب

المذيع:

نحتاج إلى توضيح أكثر .

الدكتور راتب:

نعم ، في الإسلام أشياء إيجابية ، لو أن

واحداً همه أن يتحدث عن جهنم ، أثناء خطبه عن جهنم ، وعن الحنش الأقرع ، وعن ، وعن ، كله شيء مخيف نفر الناس ، هناك وجه آخر للجنة أنت افتح القرآن هناك توازن بين وصف أهل الجنة وأهل النار ، بين الدنيا والآخرة ، فلما يكون هناك توازن يصبح هناك قبول ، أما دون أن يشعر بعض الدعاة يتكلمون دائماً بالنواحي السلبية ، عقاب الله في جهنم ، عقاب الله في القبر ، كلها عقاب ، خاف الإنسان فنفر ، فلابد من الترغيب والترهيب والترغيب أولاً ، لابد من أن تأخذ بأيديهم إلى شيء يحبونه، الدين فيه إيجابيات كثيرة جداً .

إنسان في بلد عربي دُعي إلى الإسلام ، هو فلبيني ، فأسلم ، قال : ماذا أفعل ؟ قيل له: الطهور ، عمره أربعون سنة فرفض ، فقال له : أنت مرتد هناك قص رقبة فقال : ما هذا الدين ؟ الدخول قص من تحت، والخروج قص من فوق .

هذه مشكلة إذا الإنسان أخذ أشياء ليست في صلب الدين طبعاً الطهور من صلب الدين، لكن ابدأ بغيرها ، ابدأ بالأشياء الأساسية .

المذيع:

تنقلنا إلى الأصول قبل الفروع .

5 ـ الأصول قبل الفروع :


الأصول قبل الفروع

الدكتور راتب:

سيدي ، الفروع أحكام دقيقة جداً وجزئيات، وقد يغرق بعض الناس في هذه الجزئيات ، يغرقون بها ، وينسون مقاصد الشريعة ، هناك مقاصد عظيمة جداً ، فأنا عندما أتساهل بأشياء فرضها الله عليّ ، وأبالغ في تعنيف المقصرين مبالغة تتناقض مع الأمر بالإحسان، أكون قد قصرت في الأصول من أجل جزئيات كثيرة جداً، تجد الدين أحياناً تفاصيل دقيقة جداً أما مقاصد الشريعة فابتعدنا عنها ، المقاصد مثلاً الأخوة في الإيمان يمكن أن تنشأ نزاعات بين أطراف إيمانية ، أطراف إسلامية إلى درجة التكفير ، هذه مشكلة كبيرة ، إذا كان الهدف واضحاً، والطريق واضحاً فاللقاء حتمي ، إذا كان هناك خلافات إلى درجة التكفير فهذه مشكلة كبيرة .

الدعوة إلى الله دعوتان :

لهذا أنا أقول دائماً: الدعوة إلى الله دعوتان ، دعوة إلى الله خالصة ، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله .

المذيع:

تحتاج إلى توضيح .

الدكتور راتب:

دعوة إلى الله خالصة مع أخلاص ، هناك دعوة إلى الذات لكن خلافها دعوة إلى الله، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاتباع ، أما الدعوة إلى الذات فمن خصائصها الابتداع تبتدع لتقول : أنا الأوحد في هذا البلد ، تبتدع شيئاً ما جاء في الدين ، والبدع لا تنتهي ، فالدعوة الخالصة أساسها الاتباع، أما الدعوة إلى الذات فأساسها الابتداع ، الخالصة الاتباع ، إلى الذات الابتداع ، الدعوة الخالصة أساسها التعاون .

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)

[سورة المائدة الآية : 2]

والدعوة إلى الذات أساسها التنافس ، مفهوم فريق العمل فهمه الغرب لأن هناك فريقاً، كل واحد له مهمة يؤديها بالتمام والكمال ، فهذه المؤسسة ، هذه الوزارة، هذه الجهة ، هذه الشركة ، ترقى بكل مرافقها بسبب هذا التعاون ، فريق العمل ، أما نحن ففي بعض البلاد العشرة بواحد والواحد بعشرة ، العشرة يصفون بعضهم ، فيجب أن نتعاون ونستخدم منهج فريق العمل ، كل إنسان له عمل ، يؤديه أداء كاملاً ، مجموع هذا الأعمال يرقى بالمؤسسة ، يرقى بالوزرة ، يرقى بالتعليم ، يرقى بكل شيء ، فريق العمل .



العمل الجماعي مهم في الدعوة

مرة أحد الأخوة الكرام كان بهولندا ، فقرأ إعلاناً عن وظيفة قال لي : مثل أي بلد آخر ؛ السن ، والشهادة ، و، و، أما هناك بند غريب عليّ ، فأن يصلح للعمل ضمن فريق ، أي مؤمن بالتعاون ، والتعاون فضيلة ، والتعاون حضارة ، والتعاون دين :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى)

قال : البر صلاح الدنيا ، والتقوى صلاح الآخرة ،

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى)

نحن يحل محل البر التنافس ، فالدعوة الخالصة أساها الاتباع ، أما إلى الذات فأساسها الابتداع ، الدعوة الخالصة أساسها التعاون ، أما إلى الذات التنافس ، الدعوة الخالصة أساسها الاعتراف بالآخر أما إلى الذات فأساسها إنكار الآخر ، فحينما تكون الدعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله يكون معها بدع ، و تنافس ، و إلغاء الآخر ، إذا كانت دعوة خالصة ، فالدعوة الخالصة معها اتباع ، معها تعاون ، معها اعتراف بالآخر .

المذيع:

ننتقل إلى الأمر الآخر إلى التربية لا التعرية.

6 ـ التربية لا التعرية :



الدكتور راتب:

أحياناً يخطئ إنسان يمكن أن أنصحه على انفراد ، أنا أربيه ، أما حينما أنصحه أمام الناس جميعاً ، فأنا الآن أفضحه لا أنصحه، فالتربية لا التعرية ، ينبغي أن أربيه إلى الصواب بالموعظة الحسنة ، بالرفق على انفراد أنا وإياه ، أما إذا نصحته أمام ملأ فقد شهرت به فالتربية لا التعرية ، هناك إنسان يرغب في الاستعلاء على الآخرين عن طريق نصحهم أمام الملأ هذا خطأ كبير ، النصيحة بينك وبينه ، بينك وبينه نصيحة ، أما بينك وبينه أمام الملأ ففضيحة، فالتربية لا التعرية .

المذيع:

مخاطبة القلب و العقل معاً .

7 ـ مخاطبة القلب والعقل معاً :

الدكتور راتب:

هذا الشيء دقيق جداً ، أي دعوة تهمل العقل لا تنجح ، أي دعوة تهمل القلب لا تنجح، فأنت عقل يدرك وقلب يحب ، فإذا خاطبت عقلك بالعلم ، وخاطبت قلبك بالحب ، ثم دعوتك إلى العمل فهذه الدعوة تنجح، إذا كان تلميذ عند داعية ، أو عند عالم ، يجب أن يهتم هذا العالم بعقله ، وأن يهتم بقلبه ، وأن يهتم بدنياه ، لذلك لما نزوج الشباب هذا عمل عظيم ، لأن العنوسة مشكلة كبيرة، هذه كيف تحل ؟ تحتاج إلى منظمات ، تحتاج إلى جهود ، إلى مؤسسات ، فأنت عندما تهتم بدنيا هذا الإنسان ، تهتم بعمله ، بزواجه ، إذا كان هناك فرص عمل ، لذلك عندما يكون هناك تعاون بين الدعاة وبين الاقتصاديين ، هذا عنده عمل ، قدم لك فرصة عمل ، أنت تختار الشباب الذي بحاجة إلى زواج ، تدله على هذا المعمل ، أنا أفعلها بالشام ، دائماً هناك أناس عندهم مؤسسات، عندهم معامل ، عندهم فرص عمل ، وهناك دعاة عندهم طلاب علم فهذا طالب العلم مستقيم ، صادق ، أمين ، فإذا دللته على عمل صاحب العمل مطمئن لك ، أنا ماذا فعلت ؟ أنا حاولت أن أقيم تعاوناً بين الدعوة وبين أصحاب الفعاليات الاقتصادية ، وما لم يكن هناك تعاون فهناك تقصير ، التعاون حضارة ، إله عظيم يقول :

(وَتَعَاوَنُوا)

هذا أمر ، وعند العلماء كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ،

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)


المساعدة في تزويج الشباب عمل عظيم

البر صلاح الدنيا ، والتقوى صلاح الآخر ، مثلاً سكن للشباب هذا عمل عظيم ، هناك أعمال لها أثر، تزويج الشباب ، عمل عظيم آخر ، والله هناك أعمال الحقيقة كما يقول بعضهم : الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق ، أي طرق الأعمال الصالحة ، في إطعام الفقراء ، تزويج الشباب، الدعوة إلى الله ، نقل العلم ، أنواع لا تعد ولا تحصى ، بعدد أنفاس الخلائق .

أحياناً الإنسان يتوهم أني عملت عملاً صالحاً من أسبوع ، هذا العمل الصالح يومي كيف أنا أتناول الطعام يومياً، لأنه علة وجودك في الدنيا العمل الصالح الدليل الإنسان عندما يأتيه ملك الموت يقول :

(رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)

[سورة المؤمنون الآية : 99]

ما ذكر إلا العمل الصالح ، فأنت علة وجودك في الدنيا العمل الصالح ، أحياناً إنسان يفعله استثناء ، اضطراراً ، صدفة ، لا ، العمل الصالح بالفجر بالدعاء : "هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك" ، فالإنسان حجمه عند الله بحجم عمله الصالح ، حجمه عند الله بعد إيمانه بحجم عمله الصالح ، فكلما أصبح العمل الصالح عند الإنسان هدفاً يسعى إليه كل يوم يرقى عند الله .

المذيع:

نسأل الله تبارك وتعالى القبول ، أستاذنا الجليل الوقت يمر سريعاً ربنا يبارك فيك كلمات رائعة ، أسلوب رائع ، كلام ، وأتمنى من الكل أن يعتبروا بهذا الكلام ، ويأخذوا به ويعملوا به ، حتى يكون الإنسان داعية إلى الله تبارك وتعالى بالحسنى والموعظة الحسنة ، يكون داعية يمشي على الأرض ، يكون إسلاماً يمشي على الأرض .

8 ـ الدليل لا التعليل :

الدكتور راتب:

سيدي أيضاً الدليل لا التعليل ، الإنسان منطقي ، قدم له الدليل ، هذه حرام ، لماذا حرام ؟ هناك رأي ، هناك حديث ، هناك حديث فقهي ، هناك إجماع فقهاء ، بين الدليل ، الدليل يقوي كلامك ، وإذا كنت تعيش بعصر العقل بين التعليل ، أحياناً التعليل يعني الدليل ، هناك دليل وهناك تعليل فالدليل والتعليل أيضاً مهمان جداً في الدعوة إلى الله ، فعندما يكون مع الداعية أدلة وتعليلات علمية أحياناً يكون هناك تزاوج بين الثقافة الإسلامية والغربية ، أحياناً يقدم لك الغرب تفسيرات ببعض الحالات ، الدليل والتعليل.

المذيع:

نحن تكلمنا في خصائص الدعوة ، وقلنا : معرفة الآمر قبل الأمر ، مع القدوة قبل الدعوة ، الإحسان قبل البيان ، الترغيب قبل الترهيب ، الأصول قبل الفروع ، التربية لا التعرية، مخاطبة القلب والعقل معاً ، والدليل والتعليل ، كلام حضرتك يحتاج إلى أن نربط ، سبحان الله الوقت مرّ سريعاً ، نفتح التلفونات لحضرتك لكن الوقت مرّ بنا سريعاً ، وكلام أستاذنا الجليل ربنا يبارك في علمه ، يا رب اللهم آمين ، أحتاج أن أربط هذا بالواقع الآن ، محتاج برسالة لحضرتك توجهها أولاً للدعاة الذين انشغلوا بالسياسة وتركوا الدعوة ، للدعاة الذين انشغلوا بالأمور الحياتية وابتعدوا عن الأمور التي تعين

الإنسان، وتعين المواطنين ، والمشاهدين ، والقراء ، والمسلمين إلى الله تبارك وتعالى ، ماذا تقول لهم؟.

الدعوة والسياسة يتعاونان لا يتعاندان :

الدكتور راتب:

الدعوة والسياسة يتعاونان لا يتعاندان ، فالسياسة ضمن حياة الإنسان ، فعندما يكون الداعية له رأي صحيح في الواقع ويقدمه لأتباعه ، يكون قد قدم خدمة كبيرة .

مثلاً : الآن هناك انتخابات ، أو استفتاء على الدستور ، إذا كان الوضع جيداً والدستور جيداً ، والدستور نقلة نوعية ، والحكم بعد زوال الحكم السابق حكم متميز فيه ضوابط فيه مرجعية ، فيه رحمة ، فيه تواضع ، هذا ينبغي أن ندعمه ، وأنا لا أصدق إنساناً مسلماً فيه ذرة إيمان إلا يدعم الشيء الذي وجد مؤخراً ، هناك نقلة نوعية بين السابق واللاحق ، هذا شيء ثابت ، فالإنسان عندما يكون معه أجندة ، أو معه دعم خارجي ، أو أشياء لا ترضي الله عز وجل يكون أداة غير نظيفة لعمل غير نظيف ، أنا أرى أن هناك نقلة نوعية في مصر والله أنا أتمناها لكل بلد ، هناك جهة قوية تأتمر بأمر الله ، تنتهي عما نهى الله عنه ، تريد أن تقترب من الشعب ، أنا هكذا أرى ، وأنا أطالع وأتابع ، فأنا أعجب أشد العجب ممن يقف ضد هذه الدعوة ، ضد هذا الإنجاز .

المذيع:

لكن أنا محتاج رسالة للدعاة ، ماذا تقول لهم ؟

رسالة للدعاة الذين انشغلوا بالسياسة وتركوا الدعوة :

الدكتور راتب:

الداعية لأن له وجوداً في الأرض ، هناك من يستمع له ، هناك من يصدقه ، عليه واجب ، فإذا سكت فهو آثم ، إذا سكت عن نصح من حوله في الموقف الصحيح من هذه الأحداث فهو آثم يجب أن يوضح ، كيف كنا قبل هذا الوضع الأخير ؟ بوضع لا يحتمل ، ثلاثون عاماً لا تستطيع أن تقول كلمة واحدة ، فالآن صار هناك حرية ، رأي ، رأي آخر ، منهج ، مرجعية ، نقلة نوعية أنا أراها رأي العين ، أنا أعاني من فقدها ، معاناة كبيرة جداً ، فهذه نعمة كبيرة يجب أن نحافظ عليها لئلا نفتقدها ويأتي البديل الذي لا يحتمل ، وقد يعاقب الله أناساً قد كفروا بنعمة أنعمها الله عليهم ، فلم يقدروها حق قدرها ، فهناك مشكلة كبيرة بعد ذلك ، أنا والله أتمنى من أعماق قلبي وأنصح كل مسلم هناك منهج ، هناك مرجعية ،

هناك وعود كثيرة ، أعطِ مهلة ، أعطِ مهلة سنة ، أعطِ مهلة أربع سنوات ، ثم انظر إلى الإنجاز .

المذيع:

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينعم علينا بالأمن والأمان والسكينة والاستقرار يا رب اللهم آمين .

الدكتور راتب:

مصر أم الدنيا ، مصر تقود المجتمع العربي كله ، فإذا صلح أمرها صلح أمر العرب جميعاً .

أسئلة و أجوبة :

المذيع:

أنا أستأذن حضرتك ، ونستقبل بعض الاتصالات السريعة من هنا إن شاء الله ، معنا اتصال السلام عليكم .

السائلة :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف حضرتك أستاذ ملهم ؟ جزاكم الله خيراً دكتور راتب النابلسي بارك الله بك ، جزاكم الله خيراً ، وأحسن الله لك ، استفدنا بعلمك ربنا يبارك بك ، وخصائص الدعوة قلتها جزاكم الله خيراً ، وأحسن إليكم ، أنا طالبة علم ، وفي الطريق إلى الدعوة إن شاء الله ، وأتمنى من حضرتك نصيحة توجهني بها للسير في هذا الطريق وجزاكم الله خيراً ، وأحسن إليكم ، والدعاء لمصر أن تمر هذه المرحلة على خير بإذن الله تعالى .

المذيع:

ماذا تقول لها؟ .

الدكتور راتب:

أنا أقول للداعية إذا عاهد نفسه ألا يقول كلمة للناس إلا إذا طبقها يرتقي عند الله سريعاً ، التطبيق هو الأصل .

المذيع:

القدوة قبل الدعوة ، السلام عليكم .

المذيع:

اتصال آخر ، السلام عليكم .

السائل :

وعليكم السلام حضرة الشيخ ، شيخ ملهم ، كيف حالكم بخير ؟ كيف شيخنا محمد راتب النابلسي ؟ .

الدكتور راتب:

الحمد لله ، بارك الله بك ، ونفع بك .

السائل :

شيخ لي سؤال ، سؤالي خاص بالدعاة الذين يتكلمون عن بعض العلماء .

المذيع:

تقصد من يطعن بالعلماء ؟

السائل :

نعم .

المذيع:

نعم حاضر ، من يطعن بالعلماء .

الدكتور راتب:

ينبغي أن تنصحه ألا يطعن بهم ، إن كانوا علماء ، أو كانوا محسوبين على العلم اسأله عن الحجة والدليل ، إذا كان هناك دليل مقنع فهذا وضع ، وإذا لم يكن هناك دليل وضع ثان.

المذيع:

وإن كانت حجة باطلة ؟

الدكتور راتب:

يجب أن نقاطعه ، وأبين له أنه أنت على خطأ ، هذا الحق ، سيدي هذه الأمة خيريتها في شيئين ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال النبي الكريم :

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر - الصحابة صعقوا - قولوا أوكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : وأشد منه سيكون ، قال : وما أشد منه ؟ قال : كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونـهيتم عن المعروف - صعقوا أشد صعق – أو كائن ؟ قال : وأشد منه سيكون - الثالثة - قال : كيف بكم إذا صبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً))

سيدنا عمر أدخل شاعراً السجن لأنه قال :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

* * *

هذا شعار كل مسلم الآن .

المذيع:

سلم يا رب ، أستاذ مصطفى أهلاً وسهلاً .

السائل :

وعليكم السلام ، كيف الحال ؟ أسأل الله أن ينفع بك ويجمعنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نرحب بالدكتور محمد ، ونسمعه ما شاء الله حينما يفسر القرآن أشعر بقبس من النور وهو كذلك دائماً حال العلماء بفضل الله عز وجل ، تجد أنهم يعطون ثمرات خبراتهم الفواكه والعصائر من علمهم ، ولكن أنا أتمنى يا شيخ أن تجيبني على سؤال يحيرني هذه الأيام عن اختلاف العلماء، وأنا كمقلد أنا الآن أقلد طبعاً عالماً معيناً ، أو شيخاً معيناً ، ولكن كيف لي أن أجمع بين تقليد هذا الشيخ وبين قول النبي ، أو قول أحد العلماء كالإمام مالك ، أن أي إنسان يؤخذ منه يا رب خصوصاً في هذه الفتن ، وفي هذه النوازل التي تأتي على الأمة ، وتكون هذه الأخوية مثل المظاهرات والثورات التي يقف بها العالم الجليل طبعاً ويكون له آراء مختلفة ، فكيف أجمع أنا كمقلد بين تقليدي للعالم وبين أي إنسان يؤخذ منه ، أنا أسأل الشيخ هذه المسألة ، واختلاف بعض العلماء في هذه المسائل ، هل هي من السنة الربانية في هذه النوازل ؟

المذيع:

ربنا يبارك فيك يا أخ مصطفى ، ماذا نقول له أستاذنا ؟ .

الدكتور راتب:

والله حينما يختلف العلماء قد يكون اختلافهم رحمة واسعة بمعنى اختلافهم اختلاف غنى ، هناك مذاهب عديدة في بعض الحالات ، هناك إنسان قد تسعه هذه الحالة ، فهذا الاختلاف قال بعضهم رحمة ، وهناك اختلاف آخر ، اختلاف طبيعي ، إذا كنا في ليلة رمضان وسمعنا صوت المدفع ، يا ترى مدفع رمضان أم غير رمضان ؟ أن تفجير بالجبل مثلاً ، هذا اختلاف طبيعي ، لا يذم ولا يمدح ، لكن هناك اختلاف قذر .

(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)

[سورة آل عمران الآية : 19]

اختلاف أهواء ، اختلاف بالتعبير المعاصر أجندات ، هذا اختلاف قذر ، أساسه البغي والعدوان ،

(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)

وهناك اختلاف مرموق راق جداً ، اختلاف التنافس في الطاعات ، هذا رأى الدعوة إلى الله أقوى شيء، هذا رأى أن الإحسان أفضل شيء كإنشاء ميتم ، إنشاء مستشفى ، كل إنسان رأى شيئاً في الدين طمح إليه اختلف اختلافاً حسناً .

المذيع:

كيف تتوحد الأمة ؟

الدكتور راتب:

الله قال الحق يوحدها .

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً)

[سورة آل عمران الآية : 03]

نحن حينما نعتصم جميعاً بحبل الله نتوحد ، إذا كان هناك مصالح متناقضة ، انتماءات متناقضة ، خلفيات متناقضة ، أجندات متناقضة لن نتفق طبعاً ، فمن علامات انتماءات الأمة تعاونهم ، والتعاون أمر إلهي .

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)

[سورة المائدة الآية : 2]

والحمد لله رب العالمين

الفهرس